جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

محاضرة :

المقياس: العلاقات بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي والأوسط " إفريقيا جنوب الصحراء"

تخصص الغرب الإسلامي وحضارته

محاضرة موجهة لطلبة الماسنر: 1

السداسي: 2.

الأستاذ الدكتور: إسماعيل سامعي

العام الجامعي 1441/1440 هـ - 2020/2019 م

جذور العلاقات بين بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط

ومنافذ دخول الإسلام القارة الإفريقية وأساليب انتشاره ووسائله

جذور العلاقات:تضرب جذور العلاقات بين الغرب الإسلامي، والسودان الغربي في أعماق التاريخ، فالرسوم الصخرية في الطاسيلي والهقار وجبال الأطلس الصحراوي وحتى في الشمال تبين أن الحيوانات التي يعيش اليوم معظمها في منطقة السودان الغربي كانت تعيش في بلاد الغرب الإسلامي، ففي عصر البليستوسين/ العصر الرابع كان يعيش في منطقة الغرب الإسلامي الفيل الأطلنطي، وفرس النهر، ووحيد القرن، والضبع، والدب، والخنزير، والزرافة، والغزلان، لاسيما خلال العصر الحجري الحديث (النيوليتي)[1] والأغنام، والماعز، والثور الضخم ذو القرنان الطويلان، والنعام، وفي نفس الوقت كانت بعض

---

[1]- تعميقا للفائدة، وتوضيحا للصورة أقدم التعريف المختصر الآتي للعصور الحجرية:
1-العصر الحجري الأول القديم بدأ مع ظهور الإنسان واستمر حتى 10000 ق م ويعرف بعصر الصيد.
1-العصر الحجريالثاني الحديث بدأ مع استقرار الإنسان منذ 10000 إلى 4000 سنة ق م وشهد تدجين الحيوانات، والزراعة، واستعمال الأدوات الحجرية المصقولة ، وصناعة الخزف، والنجارة والنسيج.
3- عصر الحجر والمعادن : ويمثل مرحلة انتقالية فيه عرفت المعادن منذ 4000 ق م وطرق صهرها، وصناعة الخنجر، انظرالموقع، mawdoo3.com

هذه الحيوانات تعيش في أوروبا أواخر العصر الحجري القديم[2]، وبعض هذه الحيوانات ظلت تعيش فيه حتى عهد قريب ومنها مازال موجودا حتى اليوم كالأسد، والنمر، والنمس، والحمير الوحشي، والوعل بناحية القالة في الجزائر، والضبع، والغزلان، والأغنام، والماعز، والقرد، وأن الأسد ظل يعيش في الجزائر حتى القرن العشرين، ومازال حتى اليوم في جبال الأطلس بالمغرب، ومثلهما الدب، وقد كانت تعرف بدببة نوميديا وهي من أشرس الدببة[3]

وفي فترة العصر الجليدي الثالث والرابع بدأ التحول مع ظهور الإنسان والحصان والجمل واستخدام الأخرين من طرفه، ولا ريب أن تلك النقوش الصخرية الخاصة بالحيوانات المتنوعة قد قام الإنسان البدائي بنقشها لأغراض تعليمية، وفقا لمواهبه الفنية أرخت لهذه الفترة، وهو ما كشفه البحث الأثري في مواقع عدة ببلاد المغرب فمثلا وجد في غار الجماعة بطاية ناحية بوحمدان شمال غرب قالمة شرق الجزائر بعض اللقى منها

---

[2]- قزالاستيفان، **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، ترجمة، محمد التازي سعود، (الرباط/ المغرب: مطبعة المعارف الجديدة، 2007)،1/ 105.= يقول قزال: يظهر أن الأسد والجقل Chacal، والخنزير، والغزال، والنعامة في النقوش الصخرية التي توجد بناحية قالمة، والتي يظهر أنها ترجع لعهد واحد هي نقوش ما قبل التاريخ الموجودة بجنوب الجزائر. 107/1. جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب، محمد مزالي، والبشير بن سلامة، (تونس/ الجزائر: الدار التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978)، 56/1.

[3]- **نفسه**، 1/ 109- 112.

عظام وأسنان الدببة وحبوب ترجع إلى 8000 و8500 سنة ق م[4]، وفي هذه العصور الحجرية فيما قبل التاريخ كان الناس في بلاد المغرب يعيشون على الصيد وهو ما تؤكده تلك النقوش والبقايا في الشمال والجنوب " الصحراء " التي كانت وستكون حلقة وصل بين الغرب الإسلامي، والسودان الغربي على مر العصور، وأن سكان بلاد المغرب لهم صلات بشعوب الشمال (أوروبا) والجنوب (السودان الغربي) وكذلك نحو الشرق حتى مصر وبلاد الكوش والحبشة، وتأثيرات مباشرة[5]، ويرى قزال أن سكان إفريقيا الجيتولين واللبيين قوم غلاظ كانوا يقتاتون الحيوانات المتوحشة أونبات المراعي، وهم رحل متنقلون نوماد Nomades، ويسكنون الأكواخ التي عرفت بالنوميدية (مباليا Mapalia)[6]، وهي الحياة نفسها التي كان سكان السودان الغربي يعيشونها حسب ما تؤكده المصادر العربية منها اليعقوبي في القرن 3 هـ/ 9 م، حيث يقول أنهم لا يلبسون قميصا بل يتشحون[7] ثيابا، ومعاشهم من الإبل وليس لهم زرع ولا طعام[8]، ويؤكد هذا القول ابن بطوطة، ويضيف مادة التمر التي تجلب إليهم من الشمال[9]، وفي القرن 10هـ/ 16

---

[4] -LedermannEmilr, **Philippeville** et ses envions – histoire tourisme- (philippeville: Edition du Syndicat D'initiative, 1935), 173-175 .

[5]- جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، 68.

[6]- . ibid, 175 ، قزال، **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، 265/1، 266، 269.

[7]- الوشاح قطعة طويلة من القماش تلبس على الرأس أو الرقبة أو الأكتاف، أو يشد على العاتق، وهو أيضا حلي النساء. انظر، ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق، علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،1988/1408)، 305/15، الرازي محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تخريج وتعليق ، مصطفى ديب البغا، (عين مليلة / الجزائر: 1990)، 455.

[8] - أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284 هـ/)، **البلدان** ، وضع حواشيه، محمد أمين ضنّاوي، (بيروت: دار الكتب العلمية،2002/1422)، 199.

[9]- **رحلة ابن بطوطة**،(بيروت: دار صادر ، د ت)، 674.

م يضيف الوزان أنهم أنهم كانوا يعيشون كالبهائم لا أمراء ولا ملوك ولا دول لهم[10].

ومنذ بداية الألف الأخيرة قبل الميلاد، والوجود الفنيقي بسواحل المغرب أخذ سكانه يسهمون في البناء الحضاري العالمي، فتأسيس هؤلاء للموانئ على السواحل المغربية فتح المجال واسعا للعلاقات الخارجية شمالا وجنوبا، وما تلك الرحلة الكبرى التي قام بها في القرن 5 ق م حنون حول السواحل الإفريقية للاستكشاف وللتجارة، حيث وصل خليج عينيا أو سواحل نجيرياوالكامرون اليوم، فاشترى وباع عن طريق المقايضة لاسيما الذهب والرقيق، ثم رحلة خميلكن باتجاه الشمال وصل فيها إلى الجزر بريطانيا وإيرلندا لأجل استيراد بعض المعادن، وتصدير الحبوب وعدد من المصنوعات[11].

إلا الاتصالات المباشرة كانت تتم عن طريق الصحراء بين منطقتي المغرب أو الشمال الإفريقي والسودان الغربي غرب إفريقيا، وذلك بواسطة المجموعات البشرية المتنقلة في المناطق الصحراوية والتي تتشابه في المكونات والصفات، وفي نمط الحياة لاسيما اللغة إحدى وسائل التواصل المباشر، فاللغة الليبية الحامية ولهجتها التارقية المنتشرة في الصحراء الكبرى، ولهجاتها المتنوعة كالشلحية في المغرب والقبائلية، والشاوية، والميزابية، والشنوية، والربعية، في الجزائر،

---

[10]- الوزان الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، ترجمة/ محمد حجي، ومحمد الأخضر، (ط، 2 . بيروت: دار الغرب الإسلامي،1983)، 1/2/ 159 ، 160.

[11]- صفر أحمد، **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، (تونس: دار النشر بوسلامة، 1959)، 127، 134.

والسواحلية في موريتانيا، ولغة الفوانش في جزر الكناري كلها ذات أصل واحد ومنحدرة من الليبية وهي قديمة تعود إلى 8000 – 7000 سنة ق م شهد بذلك عدد من الأعلام كالقديس أوغستنيون الذي أقر بأن اللغة الليبية لغة واحدة[12].

وبعد فجر التاريخ ومجيء الفنيقين في نهاية القرن 9 ق م الذين أسسوا على طول الساحل الليبي (المغربي) مراكز ومستوطنات منها قرطاجة[13]، وأوتيكا، وهيبوريجيوس ، وصلداي، وإكوسيم، وليكسوس، وقادس جنوب شبه جزيرة إبيريا (إسبانيا والبرتغال اليوم)، وقد أنشئت العديد من المراكز في الجزائر يوضح البعض منها الجدول الآتي[14]:

الرقم	التسمية القديمة	التسمية الحديثة
1	تيبازة	تبيازة
2	إيول	شرشال
3	قورايا (قونونو)	قبة سيدي إبراهيم
4	كارتينا	تنس

[12]- القديس أو غسطيوس، **مدينة الله**، نقله إلى العربية، الخور أسقف يوحنا الحلو، (ط ، 2 ، بيروت: دار المشرق، 2007)، 2/ 279، وأنظر كذلك رسائله.

[13]- تذكر جل المصادر أن قرطاجة أسست سنة 814 ق م على يد فريق من الفنيقين تقودهم أليسّا Elissa جاءوا من سواحل فنيقيا سوريا ولبنان اليوم وبالضبط من مدينة صور في أسطورة تداولتها المصادر . انظر مثلا :

[14]- تم نقل هذا الجدول عن غانم محمد الصغير ، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، (عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى ، 2003)، 178، 173. الذي استند بدوره على عدد من الدراسات والأبحاث نثبت بعضها تعميما للفائدة:

- Fouilles à Tipassa extrait de la R .af .III et IV (1949) .PP. 146.P .Cintas
- M.Bouchenaki, Recherche Puniue en A lgériedaneRicerchenelMéditeerranéo Rome (1970) ,PP ,64-67.
- St .Gsell ,Tipassa Ville de la Mauritanne césarienne in M .E.F.R (1894) T.XIV. PP . 293-321.

5	بورتوسماغنوس	مرسى الدجاج
6	الأندلسيات	وهران
7	مرسى مداح	مرسى مداح
8	رشقون	رشقون
9	سيقا	سيقا
10	إكوسيم	الجزائر العاصمة
11	روس غونية	برج البحري
12	روسيبيكاري	مرسى الجاج
13	روسو كورو	دلس
14	روسيبيسير	تجزيرت
15	روسازو	أزفون
16	صلداي	بجاية
17	ايجيجيلي	جيجل
18	شولو	القل
19	روسيكاد	سكيكدة
20	هيبوريجيوس	عنابة

وانفتاح الليبيين على العالم الخارجي، وتوطين السكان في المناطق الزراعية مما جعلهم ينتقلون من اقتصاد الكفاف إلى اقتصاد السوق حيث يقومون بتصريف فائض الانتاج إلى خارج القبيلة والمنطقة، فبدأ هنا البحث عن أسواق بعيدة في إفريقيا وأوروبا، وكان اتصالهم بهذه الشعوب والمناطق عن طريق ركوب البحار عبر سواحل الأطلس –

بعد أن روضوا من قبل سواحل البحر المتوسط – في الاتجاهين الجنوبي والشمالي، وهو ما تجسده تلك الرحلات التي قادها القرطاجيون، وبعضها معروف مثل رحلة حنون، وخيملكن، وسيلاكس، ويبدو أن التجار القرطاجيين في البداية لم يكونوا يغامرون في مجاهيل الصحراء وغابات بلاد السودان الغربي أو إفريقيا الغربية لجلب خيراتها، بل قضوا مدة معتبرة مستخدمين سكان الصحراء كوسائط في حركتهم التجارية[15]، والتي تهمنا هنا هي رحلة حنون[16]، هذه الرحلة التي تمت في النصف الثاني من القرن 5 ق م، حوالي 480 ق م، وكان الهدف اكتشاف سواحل المحيط الأطلسي، والوصول إلى خليج غانا وبالتالي ربط علاقات متنوعة مباشرة مع سكان بلاد السودان، وتأسيس مراكز حضارية، وبناء معابد فالرحلة كانت اقتصادية تجارية، ودينية ثقافية، فأبحر حنون في ستين مركبا ذات خمسين مجدافا، وأخذ معه جما غفيرا من الرجال والنساء بلغ عددهم ثلاثين ألفا[17] مع المؤونة الضرورية، ولا ريب أن هذه الرحلة وبهذا الحجم لم تكن الأولى بل سبقتها رحلات استكشافية مكنت حنون من التخطيط لها وتنفيذها في ظروف مواتية، وقد كشف نص الرحلة أو تقريرها عن طبيعة المنطقة الجغرافية، وتنوع ثرواتها، وعن حياة سكانها، وأنه تم ربط علاقات مع سكان تلك المناطق في

---

[15]- صفر، **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، 125.

[16]- مصدر هذه الرحلة نصا منقوشا تركه حنون على لوحة من النحاس كانت معلقة بمعبد كرونس أو بعل حمون روى فيه رحلته بالتفصيل، لكن لم يبق من هذا النص سوى ترجمة إلى اليونانية قام بها المؤرخ هيرودوتس في 18 فقرة . انظر نصها الكامل في الملاحق، وأيضا، **تاريخ هيرودوت**، 369، صفر، **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، 127، وما بعدها.

[17]- يبدو في هذا العدد شيء من البالغة، أو بعض الصحيف، أو التحريف المقصود ؟

كنف الاحترام المتبادل كعادة التجار، وهو ما قام به التجار المسلمون بعد أكثر من ألف سنة من هذه الرحلة.

وإذا كان القرطاجيون احتاجوا إلى جلب الثروات النادرة الموجودة في السودان الغربي كالذهب، والفضة، والعاج، والعبيد، والحيوانات الإفريقية، وجلودها، فإنهم في الوقت نفسه اتجهوا نحو الشمال عبر سواحل الأطلسي لجلب الحديد، والرصاص، والقصدير لفائدة الصناعة في رحلات منها رحلة خيملكن التي وصلت الجزر البريطانية، وإيرلندا، وسواحل أوروبا الشمالية، وتمت في حدود سنة 400 ق م[18]، وتفاصيل الرحلة سيثبت في الملاحق.

منافذ دخول الإسلام: لم يدخل الإسلام إفريقيا عموما والسودان الغربي خصوصا دفعة واحدة، ولا عن طريق واحد، إنما على مراحل، وعبر عدة منافذ.

المنفذ الأول: كان أثناء الهجرتين الأولى والثانية للمسلمين إلى الحبشة شرق إفريقيا اليوم في بداية الدعوة على عهد الرسولﷺ عن طريق باب المندب اليوم:

---

[18]- رحلة خيملكن لم يكن لها وثائق تكشف عن تفاصيلها سوى نبذة وردت في قصيدة ضمن جغرافية ألفها الشاعر الروماني روفوسفستوسافيانوسRufusFestusAvienus في بداية القرن الرابع ق م ، وقد ألف القصيدة لتعليم أحد أقاربه، وعنوانها حول البحر OraMaritima . انظر، صفر، **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، 134.

❁الهجرة الأولى كانت في شهر رجب عام 5 من البعثة /615م، قوامها 10 رجال و3 نساء على اختلاف الروايات يقودها عثمان بن مظغون[19].

❁الهجرة**الثانية** تمت في شهر شوال من نفس السنة (5 بعد البعثة / 615 م)، وتكونت من 84 رجلا و19 امرأة وعدد من الأطفال يقودها جعفر بن أبي طالب على أرجح الأقوال[20] .

وتعد هذه الاتصالات الأولى للإسلام بإفريقيا بعد البعثة النبوية، وقد كانت لها أهمية، ولم تكن اكتشافا للمنطقة لأن المنطقة وأهلها معروفة لدى العرب، ولا ننسى الوجود الحبشي في جنوب شبه الجزيرة العربية، وقصة إبرهة الحبشي التي ذكرها القرآن الكريم كانت أحد المعالم في علاقات المنطقتين قبل الإسلام، وإذا كنا نقر بأن دعوة محمد ﷺ اتباعه – لما اشتد الضغط عليهم في مكة – بالهجرة إلى الحبشة عند النجاشي هي توجيه من الله لنبيه، فإنه في الوقت نفسه كانت معرفته وأصحابه بالمنطقة التي لاريب أن بعضهم تردد عليها أكثر من مرة وعرف أهلها ودينهم وطبيعة حكمهم، وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية، والفكرية، وطبقا لهذه المعرفة السابقة وضع الرسول محمد ﷺ خطة الهجرة والتي تمت بنجاح رغم بعض العراقيل والصعوبات، وأخرجت الهجرتان الدعوة

---

[19]- ابن هشام، **السيرة النبوي**، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها، مصطفى السقا، وإبراهيم الأنباري، وعبد الحفيظ شلبي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت)، 344/1.

[20]- **نفسه**، 345/1 وما بعدها.

ليس من مكة فحسب بل إلى خارج شبه الجزيرة العربية وإلى العالم انطلاقا من إفريقيا القارة التي لم تشهد تطورا في الكثير من مناطقها.

وقد تتابعت الهجرات والبعثات إلى مختلف مناطق إفريقيا لاسيما بلاد السودان الغربي والأوسط من الشرق، وخاصة من الشمال بعد فتح مصر وبلاد المغرب بداية من سنة 18 هـ/ 642 م، حيث أرسل عقبة بن نافع من طرف الوالي على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح على رأس كوكبة من الجنود إلى الجنوب المصري (النوبة) عبر نهر النيل، وانتهى إلى إبرام صلح، وهو في الحقيقة اتفاقية اقتصادية يزود النوبيون بموجبها العرب المسلمين بالعبيد مقابل الحبوب والعدس[21].

❁ فزان :**بعثة عقبة بن نافع إلى السودان الأوسط:** تحدثت عن هذه البعثة العديد من المصادر التاريخية باقتضاب منها ابن عبد الحكم[22]

---

[21]- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم، **فتوح مصر وأخبارها**، (القاهرة: مكتبة مدبولي،1411 هـ/1991 م)،188.

[22]- **نفسه**، 195.

الذي يذكر أنه انطلق من ودان لفتح جرمة وفزان[23] وقصورها[24]، ثم مضى إلى ما وراء الجبل (يبدو أنه جبل تبستي) حيث كُوَّار قصبة المنطقة والواقعة شمال بحيرة تشاد[25]، والمسافة المذكورة التي قطعتها بعثة عقبة بن نافع هي 24 ليلة أو يوم انطلاقا من ودان[26]، ويبدو أنه تجاوز كُوَّار حتى أطراف بحيرة تشاد، كما ذكر السلاوي أن عقبة بن نافع فتح غدامس من تخوم بلاد السودان ووصل إلى وادن (ربما واداي)[27] وكُوار هذه لا تبعد كثيرا عن حدود نيجيريا اليوم من ناحية الشمال، وهذا يدل دلالة صريحة إلى دخول الإسلام المنطقة الغربية في مجد

---

[23]- هذه المدن الثلاث أو المناطق التي سيحدد مكان وجودها هي التي انطلقت منها بعثة عقبة ابن نافع نحو السودان الأوسط أو جنوب ليبيا، انظر،

- ودان : ودان مدينة قديمة تقع في منخفض يتوسط ليبيا، وتسمى اليوم الجفرة، وقيل أن اسمها مشتق من الود وهو تفسير لغوي، وقيل هي اسم قبيلة، وقيل أيضا أنها تعني كثرة الغزلان وهو الأرجح. انظر، ابن عبد الحكم ، **فتوح مصر وأخبارها**، 195، والموقع، http://ar.wikipedia.org.

- جرمة :مدينة أثرية تقع اليوم في الجزء الجنوبي الغربي من ليبيا في الصحراء الكبرى، وقد عرف سكانها بشعب " الجرمنت " . انظر الموقع، http://ar.wikipedia.org.

- فزان :تقع في الجنوب الغربي لليبيا معظمها أراضي صحراوية تتميز بكثرة الجبال الصخرية والمرتفعات والأودية الجافة. انظر الموقع، http://ar.wikipedia.org

[24]- **القصر** وجمعه قصور مساكن صحراوية عبارة عن قرى أو مدن صغيرة ومتوسطة يبنى أغلبها بالطوب أو الطين لمقاومة حرارة الصحراء، وتحاط بسور ذات نمط معماري متميز وبسيط.

[25]- كُوَّار مدينة ومنطقة إلى الشمال من بحيرة تشاد.

[26]- العرب في الغالب تحسب المسافة باليوم وربما لطبيعة المنطقة الصحراوية، باتجاه الجنوب من فزان / ليبيا كان السير ليلا، والاستراحة بالنهار، حيث قطعت المسافة في 24 ليلا، وبحساب 12 ساعة سير ليلا، وبالرجوع إلى مسافة قصر الصلاة عند المالكية وهي 84 كم يمكن تقدير المسافة المقطوعة (84 x 24 =2016 كم. وهو تقدير تقريبي.

[27]- واداي منطقة وارفة المياه والزروع توجد بين دارفور شرق تشاد وبحيرة تشاد (بلاد الكانم). انظر الموقع، أطلس العالم، 41.

الأول في إفريقيا عامة، كما كتب أحد الكُتاب النيجيريين[28] يقول ويؤكد إفادات المصادر:" ثم واصل – أي عقبة – زحفه جنوبا على مدينة فزان، ومضى حتى آتى على قصور كُوَّار فافتتحها إلى أقصاها، وفيها ملكها، وكُوار هذه لا تبعد كثيرا عن حدود نيجيريا الشمالية...وهذا يدل دلالة صريحة إلى دخول الإسلام المنطقة الغربية منذ عهد الإسلام الأول في إفريقيا عامة "، والفتوحات الأولى في بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط تنسب إلى عقبة وآله، ولاريب أنه كان لهماالدور الكبير، ولكن لا يعقل أن يفتحوا تقريبا قارة بأكملها، فلابد ثم تضخيم أسطوري لهذا الدور يجب مراعاته خلال القراءة المتأنية للنصوص المصدرية، وتوجيه النقد إليها .

❁**بعثة عبد الرحمن بن حبيب[29] إلى السودان الغربي:** قام عبد الرحمن بن حبيب، في عهد الوالي عبيد بن الحبحاب (116-123هـ/ 734- 741 م) بغزو أرض السوس جنوب مراكش، وبلغ أرض السودان الغربي[30]، وقام بحفر بعض الأبار في هذا الطريق، وهو ما يدل على بداية الاهتمام

---

[28]- مقال :**دخول الإسلام في غرب إفريقيا والعامل التي سادت** في ذلك . قسم اللغة ، جامعة بايروكنو نيجيريا، والكتاب " **الثقافة العربية في نيجيريا**". هو للدكتور أبوبكر السابق الذكر انظر الموقع، .httlp://m.facebok com

[29]- **عبد الرحمن بن حبيب** بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري

[30]- البلاذري أحمد بن يحيى أو الحسن الإمام، **فتوح البلدان**، مراجعة ، رضوان محمد رضوان، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1412 هـ/1991 م)، 233.

بالسودان الغربي من الحكام في الشمال أو الغرب الإسلامي، ومنذ ذلك الوقت سيصبح هذا الطريق من أهم الطرق إلى هذه البلاد.

والجغرافيون العرب الأوائل لم يعطوا تفاصيل عن بلاد السودان فاليعقوبي في القرن 3 هـ/9 م لا يقدم إلا وصفا مقتضبا وعاما لمسافة الطريق المقدرة بخمسين مرحلة وإلى أقوام ونمط معيشتهم من حيث الأكل واللباس والمسكن، وكثرة ممالكهم[31]، كما أن البكري في القرن 5 هـ/ 11 م رغم أنه قدم بعض التفاصيل الضافية إلا أنه لم يتحدث إلا عن وصف الطريق ومسافات السير فيه بالإيام، وعلى أماكن الماء لما له من أهمية عبر هذا الطريق الصحراوي القاحل.

ومنذ هذه الاتصالات الأولى توالت البعثات على بلاد السودان في أشكال مختلفة، وظل الإسلام ينتشر في المنطقة، ويتوغل بعيدا.

---

[31]- اليعقوبي، **البلدان** ، 199.

أساليب وطرق انتشار الإسلام ووسائله

والحالة السكانية

أساليب وطرق انتشار الإسلام ووسائله:لاريب أن تتعدد أساليب وطرق انتشار الإسلام في المنطقة خضع لخصوصية منطقة السودان الغربي الحضارية، وطبيعة مجتمعاته، وظروفه الطبيعية، ومن هنا اتخذت الدعوة إلى الإسلام طريق السلم، ولم تستعمل القوة، فالصراعات السياسية، والنزعات القبلية كان معظمها لأجل تأسيس الدولة والولاء لها، وإقامة حضارة تخرج المنطقة وسكانها من العزلة التي ظلت فيها على مدى قرون خلت، وتجعلها تساير ركب التقدم الحضاري، وكان الإسلام وتعاليمه وحضارته المسلك الأكثر فعالية في الوصول إلى تحقيق ذلك، وعلى مدى

قرون أخذت السودان الغربي في التحول التدريجي والجذري عبر عدة طرق واستخدام العديد من الوسائل تفصيلها فيما يأتي:

1- **طبيعة الإسلام:** الإسلام دين الفطرة كما هو معروف قال تعالى:" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ التِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ اَلْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ"[32]، والحقيقة أن الإسلام لم يفرضه أحد سواء كان من الدعاة أو التجار أو رجال الطرق الصوفية ولا القادة العسكريين، ولم يفرض بالغزو ونهب الثروات البشرية والمادية، بل كان يحمل في روحه وذاته قيم العدالة والتحرر واحترام الأخر، والتكيف مع الأنظمة القائمة، والتقاليد المعيشة، فحافظ الإسلام على طابعها الإفريقي فتقبله الأفارقة في السودان الغربي والأوسط وفي القارة الإفريقية بكاملها كدين وحضارة لا سيما أن انتشاره أرتبط بالتعليم ونشر العلم والمعرفة، وأنه يعترف باللغات واللهجات المحلية، وكانت العربية لغة القرآن الكريم عامل وحدة وتوحيد في المنطقة، كما أضعف الإسلام الولاء للقبيلة وللأشخاص، وللتقاليد، فأدى ذلك إلى نشأت دولا وأمبراطوريات كبرى تكفلت بدورها بنشره وتحقيق قيمه كالتكافل الاجتماعي والأخوة والمساواة، والتي سيأتي الحديث عنها فيما بعد .

---

[32]- **الروم**، 29.

2-**الدعاة " الدعوة ":** هم أفراد تلقوا قدرا من العلوم الإسلامية مثل العلماء والفقهاء، والمشايخ، والقراء، والقضاة، والمرابطين، وألفا، والمعلمين، وسيدنا، ومولانا، وهي تسميات لرجال يقومون بالدعوة كل بطريقته وحسب نوع تخصصه أو المهمة الموكلة إليه تلقائيا، وقد عرفت كلها في بلاد الغرب الإسلامي، وبلاد السودان الغربي حتى اليوم.

لقد كان هؤلاء يحضون بنصيب وافر من الاحترام والتقدير أينما حلوا وارتحلوا فتقام الدور لاستضافاتهم أو المساكن لإقامتهم في كل حاضرة أو مدينة أو قرية أو دشرة، سواء كان سكان هذه الحاضرة مسلمين أو غير مسلمين أي وثنيين لأنهم يرون فيهم النور الذي يهتدون به في ظلمات الجهل، والإنسان بطبعه جبل على ذلك مهما كانت عقيدته ومستواه الحضاري، كما أن الحكام يسعدون بقربهم، فيجعلون منهم مستشارين ووزراء في أمور تسيير شؤون الدولة من ذلك ما حكاه البكري حيث كان لملك غانة مترجمين من المسلمين، وصاحب بيت ماله وعدد من وزرائه[33]، وقد ذكر من هؤلاء ابن بطوطة جماعة منهم على سبيل

---

[33]- البكري عبد الله بن عبد العزيزبن محمد أبو عبيد، **المسالك والممالك**، حققه ووضعفهارسه، جمال طلبة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003/1424)، 363/2.

المثال: القاضي أبو إبراهيم، والخطيب أو الإمام محمد، والمدرس أو المعلم أبو حفص، والشيخ سعيد بن علي[34].

وكان هؤلاء العلماء والمشايخ ينشئون دور العلم من الكتاتيب لتعليم الأطفال، وتحفيظهم القرآن الكريم، وهي الشريحة المستهدفة من نشر تعاليم الإسلام، والبذرة الإسلامية الأولى داخل تربة الأسرة الوثنية، ثم بناء المدارس كمراكز لنشر تعاليم الإسلام وثقافته بين مختلف الشرائح الاجتماعية، وكذا المساجد والأربطة، والخلاوى، وهي أماكن تعددت وظائفها منها التعليم، وفض الخصومات، والعبادة، والدروس العامة أو المحاضرات، والدعوة حيث كانت ومازالت حتى اليوم يتخرج منها الدعاة الأفارقة، وهم يقدرونها ويعتزون بها رغم محاولات الاستعمار والمبشرون تشويهها، والحد من نفوذها، والتهوين من شأنها في توجيه المجتمع. وتعد أيضا بمثابة معاهد عليا مختصة في هذا الميدان.

3- **اعتناق الملوك والحكام الإسلام:** ظاهرة اعتناق الرؤساء والحكام والشيوخ للديانات توجد في المجتمعات القبلية البدائية حيث يتبع أفراد القبيلة شيخهم، وقد لاحظتها بنفسي في إفريقيا حيث يقوم المبشرون بتمسيح شيخ من شيوخ القبيلة فتتمسح كلها تقريبا، ثم إذا اهتدى هذا

34- **الرحلة**، 698.

الشيخ إلى الإسلام فيتحول هؤلاء جماعيا إلى ما تحول إليه شيخهم[35]، فتقديس شيخ القبيلة وكبيرها عقيدة قديمة في إفريقيا وفي معظم أنحاء العالم تضرب بدورها في أعماق تاريخ البشرية.

ولعل إسلام كسيلة زعيم قبيلة أوربة البربرية ثم ردته أو خروجه، وما حدث في معركة تهودة (سيدي عقبة اليوم) يدخل في بعض جوانبه في هذا السياق، ومن هذا المنطلق كان ملوك السودان الغربي كمالي والتكرور، وسنغي قد قاموا بنشر الإسلام في بلادهم، وبين شعوب التكرور في السنيغال اليوم، والسوننك في غانة، والماندنجو وغيرهم، ونظرا لدور هؤلاء وشعوبهم أصبحت كلمة أو اسم : تكروري والسوننكي تعني داعية الإسلام.

ومن دعاتهم عبد الله بن ياسين الجزولي (ت 451 هـ/ 1059م) والذي سوف نعود إليه عندما نتعرض لدور المرابطين، وأبو القاسم علي بن يخلف الذي أسلم على يده ملك مالي وسمى نفسه " المسلماني" وذلك حلال القرن3 هـ/9 م، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري(ت 909 هـ/1503 م) الذي قام بنشر الإسلام في بلاد الهوسا، والداعية عثمان

---

[35]- لاحظت ذلك في جمهورية تشاد سنة 2004 ، وحسب ما حكي لي هناك ، حتى أن بعض الجمعيات التبشيرية رفعت دعوى على هؤلاء الذين تخلوا عن المسيحية واعتنقوا الإسلام لاسترداد ما انفقته عليهم خاصة بناء الكنيسة التي حولت إلى مسجد.

بن فودي وهو من شعب الفولاني الذي نشر الإسلام في كل من نيجيريا والكامرون.

4- **التجار:** في الحقيقة أن للتجار الدور الأول في الدعوة إلى الإسلام في السودان الغربي (غرب إفريقيا) لأن عددا ممن سبق ذكرهم من العلماء والدعاة والمشايخ، وألفا والمعلمين والأئمة وغيرهم كانوا تجارا أو اشتغلوا بالتجارة، وقد كان لهم الأثر البالغ على الزنوج منذ القدم كما سبق تفصيله، أثروا فيهم بسلوكهم، وأمانتهم، ونظافتهم، وإيثارهم القائم على قيم الإسلام، وهذا أدى إلى الإعجاب بهم من طرف الزنوج، ثم الانبهار، ثم التقمص والمحاكاة، ثم الدخول في الإسلام بداية من الحواضر التي كان يقصدها التجار وذلك بحرية تامة ودون إكراه طبقا لقوله تعالى:﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَّبَينَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[36]، خاصة وأن هؤلاء التجار كانوا يسهمون في بناء المساجد، والكتاتيب والمدارس لتحفظ القرآن أولا، والبعض منهم كان يحول دكانه ليلا إلى كتاب لتعليم القراءة والكتابة على ضوء النيران، فأحبهم الأهالي ووثقوا فيهم، مما فتح الباب واسعا لانتشار الإسلام، كذلك وثق فيهم صفوة القوم لاسيما شيوخ القبائل فقربوهم، واستقبلوهم

---

[36]- **البقرة**، 256.

بالترحاب أينما حلوا وارتحلوا لسموا أخلاقهم، وحسن سيرتهم، ونظافة تعاملهم، إضافة إلى علمهم وخبرتهم في المجالات السياسية والإدارية والمالية، ثم لأنهم يجلبون إليهم مختلف السلع التي يحتاجونها لحياتهم اليومية، ونعم التجار بالأمان على أبدانهم ومالهم فكان أن زادوا من نشاطهم ولحق بهم آخرون، ومن أهم المراكز الحضرية التجارية أودغست(أودغشت) في موريتانيا اليوم[37]، وتمبكت(تبكتو) على ضفة نهر النيجر في مالي اليوم، و(كانم) شمال بحيرة تشاد ، وبرنو جنوب البحيرة، وجاو، وغيرها .

وقد نشأت بمرور الزمن فئة من التجار المحليين تعلموا من هؤلاء فن التجارة، وخصال التجار ساعدت هي الأخرى في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي والأوسط.

5- الحج: الحج فريضة إسلامية مرة في العمر، والرحلة إلى الحج تكون ضمن قوافل تنظم لذلك تشرف عليها السلطة أو الدولة ومازالت حتى اليوم، وبما أن هذه الرحلة تحتاج إلى وقت قد يستغرق أكثر من سنة فإنها ترفق بحركة تجارية وعلمية، وقد كانت بلا الغرب الإسلامي تنظم قوافل الحج مثال ذلك ركب الحج الذي كان يخرج من قسنطينة

---

[37]- لم تعد موجودة اليوم، وما بقي منها إلا أطلال غمرتها الرمال .

ويقوده شيخ الإسلام ابن الفقون أمير ركب الحج، وكانت تنظم في بلا د السودان الغربي قوافل أو ركب الحج على غرار ما كان في بلاد المغرب الأقرب والأكثر تأثيرا، ولاريب أن مواكب الحج كانت يحضر لها تحضيرا جيدا تصحبه ضجة كبيرة تؤثر في النفوس وترغبها في المشاركة فيه هذا عند الذهاب أما عند العودة بعد طول غياب، فكان الاستقبال وكانت الاحتفالات والحكايا، وهو ما أبهر الوثنيين خاصة وأن هؤلاء الذين سافروا للحج تزداد ثقافتهم من خلال لقائهم بإخوانهم من المسلمين من مختلف الأجناس والثقافات، وتتدعم معارفهم، وترتفع مكانتهم ، فكان هذا الانبهار أحد العوامل الأساسية في الإقبال على الإسلام.

ومن أشهر قوافل الحج في بلاد السودان الغربي هي التي خرجت من السودان الغربي سنة 723هـ/ 1323م ترأسها منسا موسى في موكب كبير قيل ضم عشرة آلاف حاج، تحمل كميات كبيرة من الذهب الخام (التبر) أهدى منها إلى سلطان مصر، وساعد بجزء آخر فقراء مكة والمدينة. وقد أصبحت هذه القوافل عادة لا يتخلى عنها سلاطين المنطقة، من ذلك ما قام به سلطان سلطنة صنغي التي خلفت سلطنة

مالي أسكيا محمد الأول عام 495 هـ/ 1101م ، كما أدى سلاطين كانم، وبرنو الحج ثلاث مرات، وتوفي بعضهم أثناء الرحلة إلى الحج[38].

6- **الهجرات (الاتصال المباشر):** الهجرات في الاتجاهين ظلت متواصلة منذ القدم، وبدخول الإسلام المنطقة، وقيام حركة تجارية واسعة ازدادت الهجرة إلى السودان الغربي، فقد هاجر إلى حواضر السودان الغربي والأوسط عديد الجماعات والأفراد واستقروا هناك، وتصاهروا مع أهل السودان مما أدى إلى اتساع دائرة نشر الإسلام[39]، وقد قامت القبائل المهاجرة سواء العربية أو البربرية المسلمة بدور فعال، وفي طليعتها قبائل صنهاجة وفروعها الكبرى[40] مسوفة، ولمتونة، وكدالة

---

[38]- كعت محمد التنبكتي، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**، دراسة وتعليق\ان آدم بمبا، (بيروت مؤسسة الرسالة ناشرون)، 2014/1435)،96.

[39]- رحلة ابن بطوطة، 695 ؛ مسعود عمر محمد علي، " رسالة دكتوراه ": **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، فيما بين القرنيين الثامن والعاشر الهجريين/ الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين**، إشراف الهادي المبروك محمد علي، (طرابلس/ ليبيا: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 1424هـ/ 2003م)، 69.

[40]- في تفصيل هذا القبيل وفروعه يمكن الرجوع إلى العديد من المصادر المغربية، وللإفادة السريعة والمنهجية يحسن الرجوع إلى مذكرة الماجستير لحسين بوبيدي، الموسومة**"دور صنهاجة الصحراء في التواصل الاقتصادي والثقافي بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي، من ق 2-7 هـ/ 8-13 م "**، إشراف : أد إسماعيل سامعي، والتي نوقشت سنة 2013/1434)، ص، 2 وما بعدها، خالدي مسعود،**الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء(السودان الأوسط والغربي) بين القرنين الخامس و العاشر الهجريين/الحادي عشر والسادس**

بداية من القرن 2 هـ/ 8 م، وقد ساعد قيام الحواضر على تدفق المؤثرات الشمالية لاسيما بعد سقوط مملكة غانا الوثنية[41].

وقد تعددت أسباب الهجرة فكان منها السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والمذهبي والعقدي[42]، وهاجر بعض العرب، وبعض البربر من الإباضية الرستمية إلى قرية زاغري التي كانت تسكنها طوائف من الأعراق (البيضان والسودان)، وطوائف من أصحاب المذاهب والعقائد منهم المالكيونوالإباضيون، ووأخرون هاجروا إلى مملكة مالي[43]، وهذا طبعا عبر مراحل تاريخية متعاقبة ومختلفة، وعرف هؤلاء بأحيائهم السكنية المتميزة والذين كان يطلق عيهم اسم (البيضان)[44]، وقد عرفت الجاليات العربية والبربرية بأسماء الحواضر التي هاجروا منها كالغدامسي، والتواتي، والورجلاني، والسجلماسي، والدرعي، وبالمدن

عشر الميلاديين – رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية سنة 2009.)، 107.

41- لقد ترجمنا للملكة غانا أو غانة في ثنايا هذا العمل يحسن الرجوع إليها خاصة فيما يخص سقوطها

42- البكري، **المسالك والممالك**، 363/2 ، 366؛ مسعود عمر محمد علي، " رسالة دكتوراه ": **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي**، 68.

43- **رحلة ابن بطوطة**.688؛مسعود عمر محمد علي، " رسالة دكتوراه ": **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي**، 68.

44- هذه التسمية أو الوصف " **البيضان** مقابل السودان" مازال متداولا في إفريقيا الغربية حتى اليوم كموريتانيا والسنيغال ومالي وغيرهم.

والمناطق السودانية التي استقروا فيها كالتنبكتي، والأودغستي، والكانمي، والبرني وغير ذلك[45].

كما هاجر إليها من بقاع أخرى كمصر ومنهم من كان يشتغل بالطب وصناعة الأدوية[46] ، ولم تكن الهجرات مقصورة على الرجال فقط بل امتد إلى العنصر النسوي من ذلك ما حكاه ابن بطوطة عن وجود جواري عربيات دمشقيات، ولا ريب أنهن وصلن إلى بلاد السودان إما مرافقة لأسر مالكيهم، أوعن طريق الشراء[47]، إضافة إلى الهجرة الهلالية التي كان منطلقها من بلاد المغرب، لاسيما جنوب المغرب الأقصى خلال القرن 9 هـ/ 15 م، فوصلت السنغال، وحاضرة تبكت التي حلت عناصر عربية ومغربية متعددة منهم البرابيش[48]، وتواصلت الهجرات فعند تعرض الأندلسيين للاضطهاد خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 897 هـ/ 1492 م، اندفعوا في كل اتجاه منهم البعض أخذ طريقه نحو بلاد

---

[45]-**رحلة ابن بطوطة،** 682؛ السعدي، **تاريخ السودان،** 142؛مسعود عمر محمد علي، " رسالة دكتوراه ": **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي،** 68.

[46]- **نفسه**.

[47]- **رحلة ابن بطوطة،** 615.

[48]- مارتي بول، **البرابيشبنو خراسان،** ترجمة محمد محمود ولد دادي، (دمشق: مطبعة بديش ثابت، 1985)، 2 ؛ مسعود عمر محمد علي، " رسالة دكتوراه ": **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي،** 69. خالدي مسعود ،**الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء**– رسالة دكتوراه ص، 237.

السودان الغربي، واستقروا به[49]، وهو ما كان له تأثير في بعض الجوانب الحضارية كالصناعة والبناء.

المذهب المالكي: ينسب المذهب المالكي إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي (93-179 هـ/711- 795 م) الذي انتقل مذهبه إلى الغرب الإسلامي بفعل عدة عوامل منها اعتماده النص أو الأثر، وإسهام جند الحجاز، وتشدده ومناهضته للتأويل، وطبيعة أهل المغرب ونزعتهم الاستقلالية، والتي يغلب عليها أيضا البدواة والبساطة مثل أهل الحجاز، وإقبال المغاربة والأندلسيين على أخذ العلوم من أهل المدينة، ولأن المذهب المالكي لم يكن مذهب السلطة كالحنفي مثلا، وقد أشار إلى بعض هذه العوامل ابن خلدون[50]، ودخل بلاد المغرب والأندلس في وقت واحد، وقد أسهم في نقله بعض الرجال منهم علي بن زياد التونسي العبسي أول من شرح موطأ مالك بإفريقية والمغرب، وكان أستاذا لسحنون، وعبد الرحمن بن أشرس (عاش في القرن 2 هـ/8 م)، والبهلول بن راشد (ت 183هـ/799 م)، وأسد بن الفرات (ت213 هـ/828 م)، والإمام سحنون (ت 240 هـ/854 م)[51].

---

[49]- عنان محمد عبد الله، **نهاية الأندلس**، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964)، 71.

[50]- **المقدمة**، (ط، 3 ، بيروت: دار الكتاب اللبناني،1967)،805/1.

[51]- أبو العرب، محمد، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، تحقيق، علي الشابي، ونعيم حسن الباقي، (تونس/ الجزائر: الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، 1985)، 251؛

ومن بلاد المغرب أخذ المذهب المالكي طريقه نحو بلاد السودان الغربي والأوسط، والسؤال الذي يطرح هل كان أول مذهب إسلامي عرفته هذه المنطقة ؟ والحقيقة لم يكن هو الأول بل سبقه إلى هناك المذهبان الإباضي والصفري حيث قام التجار الإباضيونوالصفريون بإيصالهما إلى سكان المنطقة في فترة ازدهار الإمارتين في تيهرتوسجلماسة، وقد ظلت أثارهما باقية في المنطقة حتى القرن 7 هـ/ 13 م، كما عرفت بلاد السودان الاعتزال عن طريق التجار، والمذهب الشيعي الإسماعيلي الفاطمي من خلال تلك العلاقة التجارية التي كانت تربط الفاطميين بحواضره ومراكزه التجارية، ووجود بعض المراسلات بين الخلفاء الفاطميين وحكام بلاد السودان الغربي والأوسط، لكن هذا المذهب زال بمجرد زوال الدولة الفاطمية ببلاد المغرب لاسيما في العهد المرابطي[52].

المالكيعبد الله بن محمد أبوبكر ، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، تحقيق، بشير البكوش، ومحمد العروسي المطوي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983/1402)، 234/1؛ عياض أبو الفضل اليحصبي السبتي القاضي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب** الإمام مالك، تحقيق، أحمد بكير محمود، (بيروت: مكتبة الحياة د ت)، 326/1، ابن فرحون اليعمري أبو القاسم المالكي المدني، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، (المغرب: مطبعة الجزيرة الفاسية)، 292؛ وانظر أيضا كتابنا: **دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى الخامس الهجري/ 8-11م** (عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى، 2006)، 24 وما بعدها ففيه تفصيل موجز.

[52]- شعبان نور الدين، التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنيين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين، **دورية كان التاريخية**، العدد،18، ديسمبر 2012، ص، 35، 42.

ومن الأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي والأوسط:

I– نشاط فقهاء المالكية وتحديهم للعقبات، وصمودهم أما الصعوبات.

II – فشل المذاهب السابقة الإباضي والصفري والشيعي الإسماعيلي وعدم قدرتهم على الصمود لأنهما التصقا بنظام الحكم.

III– هذه المذاهب بقيت هناك على مستوى النخبة، ولم تتغلل في الأوساط الشعبية.

IV–طبيعة عقيدة هذه المذاهب وتعاليمها المعقدة لا سيما المذهب الإسماعيلي الشيعي الفاطمي.

وقد أفادت بعض المصادر أن الحلقات الإباضة والصفرية كانت تعقد في مساجد بلاد السودان، وتمتعت بالحرية الكاملة تماما كما كانت تعقد في تيهرت مع تعدد الطوائف والعقائد[53]. كما أفادت بعض المصادر أن ازدهار مملكة السوننك اعتمد على النشاط التجاري مع المغرب الإسلامي .

---

[53]- ابن الصغير ، **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق محمد ناصر، وإبراهيم بحاز، (الجزائر: المطبوعات الجميلة، 1986)،31، 32، 62، 82 ، 102.

ويجب التذكير بأن ما يكون قد كتب عن هذه انتشار هذه المذاهب والعقائد يكون قد ضاع أو حرف وطمس وغيب لاسيما في عصر سيادة المذهب المالكي، وفي عهد المرابطين، وفي ظل التعصب المذهبي، ولتأثير هذه المذاهب واستمرارها لاحظ ابن بطوطة بقايا المذهب الإباضي في القرن 7 هـ/ 13 م، أي بعد وصولها بلاد السودان الغربي والأوسط بحوالي أربعة قرون حيث كان يسكن في قرية زاغري طائفة من الإباضية، ويسمون " صغنغو"، والسنيون المالكيون من البيضان يسمون" توري"[54] .

وقد تمثلت الجهود المغاربية في نشر المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية في السودان الغربي والأوسط بنشر أهم المدونات المالكية كالمدونة الكبرى لسحنون، وشروحها لابن عمران، كما قام الفقهاء والعلماء بتدريس الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية اعتمادا على رسالة ابن أبي زيد القيرواني[55].

۞- **الأشعرية:** هي التي تنسب إلى المذهب الأشعري ويعود هذا المذهب العقدي في تأسيسه إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(ت 324 هـ/ 936 م)، والذي كان معتزليا ثم انفصل عن

---

[54]- **الرحل**ة، 680.
[55]- انظر مقدمة **رسالة** ابن أبي زيد القيرواني.

المعتزلة وأسس مذهبه هذا ليكون وسطيا بين التوجه المعتزليالمغالي في العقلانية، والتوجه السني المغالي في التشبث بحرفية النص[56]، وقد رافق ظهوره بعض المذاهب الوسطية التوفيقية أو الحلول الوسطى كالماتردية بسمرقند، والطحاوية في مصر، وهي كلها مذاهب أهل السنة، وهذه الوسطية هي التي جعلت أهل المغرب يتبنونها للدفاع عند عقيدة أهل السنة أمام المذاهب والتيارات – التي عملت على تسرب الفساد إلى الأخلاق والأحكام – حسب رأيهم، وقد ظهرت في المشرق وكان لها صدى في بلاد المغرب، ودورا في استنهاض أهل السنة، واعتمادهم الأدلة العقلية للدفاع عن عقيدتهم أمام ما يعتبرونه بدعا[57] باعتبار أن علم الكلام يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في لاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة كما يقول ابن خلدون[58]، واعتقد أهل المغرب بأن فرقة الأشاعرة هي الفرقة الناجية طبقا لقوله ﷺ :" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة،

---

[56]- احنانة يوسف، **تطور الذهب الأشعري في الغرب الإسلامي**، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية، (الرباط/ المغرب: مطبعة اليديني، 2003/1424)، 17.

[57]- **المقدمة**، 833.

[58]- **نفسه**، 821.

قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي، وفي بعض الروايات هي الجماعة"[59].

ومن خصائصها الشمولية، والوسطية، وفقا للحديث النبوي الشريف " لاَ يَزالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتّى تَقُومَ السَّاعَةُ "[60]، وقد عمل أهل السنة والجماعة على إعادة العقيدة إلى أصلها الصحيح، وقواعدها الإيمانية السليمة، ولم تتأثر أشعرية الغرب الإسلامي باتجاهات أشعرية المشرق مثل اتجاه الجويني، والباقلاني، والغزالي، فظلت أشعرية معتدلة محافظة، وهو ما تماشى وطبيعة المذهب المالكي[61].

وكان من نتائج هذه الحركة الفكرية ظهور قوة تمثلت في تظافر الوحدة السياسية والمذهبية والعقدية لاسيما في العهدين المرابطيوالموحدي، فجعلت بلاد المغرب والأندلس أولا، ثم بلاد السودان الغربي والأوسط ثانيا في مأمن من الصراعات الأيدولوجية والتيارات الإلحادية التي عرفها المشرق، وزاوج المغاربة والسودانيون بين السياسة/ الدولة وعلم الكلام إضافة إلى المذهب الصوفي، واصبح تفكير أهل المغرب والأندلس وبلاد السودان توجهه المعادلة (الفقهي + العقدي +

---

[59]- رواه **أبو داود**، و**الترمذي**، **وابن ماجة**، و**الحاكم**.
[60]- رواه **مسلم في صحيحه** رقم: 1925، وآخرون.
[61]- انظر ما كتب آنفا عن المذهب المالكي.

الصوفي)، ولم تبق الأشعرية في دائرة النخبة، بل توغلت في الأوساط الشعبية، وقام رجالها بتنقية العقيدة في بلاد المغرب من بقايا عقائد المعتزلة والشيعة الإسماعيلية، وغيرهما، وقد ارتكزت في نشاطها على المؤسسات الإسلامية كالمساجد والزوايا والمدارس، كما قام العلماء بتدريسها وشرحها والتأليف فيها[62]، واصبحت تعد مقوما أساسيا من مقومات الحياة الفكرية عبر عن ذلك ابن عاشر (ت 1040 هـ/ 1630 م)[63] فقال:

فِي عَقْدِ الأَشْعَرِي وَفِقْهِ مَالِكِ وَفِي طَرِيقَةِ الْجُنَيْد السَّالِكِ

ومن مصادر الفكري الأشعري التي كانت تعتمد في حلقات التدريس في بلاد المغرب والأندلس، والسودان الغربي والأوسط كتاب المحاضرات لأبي عبد الله المقري التلمساني المتوفى سنة 759 هـ/ 1358 م، وكتاب الأفعال للقاضي أبي بكر بن عربي المعافري الإشبيلي المتوفى سنة 543 هـ/ 1148 م، وشرح عقيدة مالك الصغير ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386 هـ/ 996 م وغيرهم[64]، وألف المغاربة فيها

62- مقال حول **الأشعرية** نشر في موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب يوم 2013/2/3. انظر الموقع: www.habous.90v.ma

63- الطنطاوي أحمد مصطفى قاسم، **شرح منظومة ابن عاشر " المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" في الفقه المالكي**، (القاهرة: دار الفضيلة، 2004)، 8؛ وانظر الموقع، ww.habous.gov.ma0w

64- انظر الموقع: www.shiafrica.com

كالمرشدة لمحمد بن تومرت، وأم البراهين لمحمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ/ 1490 م)[65].

- **الطرق الصوفية:** رغم أن الطرق الصوفية دخلت حلبة جهود انتشار الإسلام في السودان الغربي متأخرة أي حوالي القرن 6 هـ/ 12 م، وإن كان مهد لها الطريق الزهد، وأولياء الله الصالحين حيث أنتشر هؤلاء في مدن السودان الغربي والأوسط كجني حتى صار تنعت بالباركة الذين جاءها العلماء والأولياء من كل صوب وحدب، ومن عدد من القبائل، وذلك منذ القرن 1 هـ/ 7 م[66]، منهم مورمع العابد الصالح المعلم، وفودي الفقيه، ومحمد ساقوا الونكري الفقيه، والعالم العابد الصالح الولي، وسيدي محمود بن عمر بن محمد بن أوقت الولي الصالح، واسكيا الحاج محمد الذي تولى قضاء جني[67]، إلا أن بعد شيوع الطرق الصوفية كان لها الدور الفعال الذي تواصل حتى اليوم، والحصن المنيع أثناء فترة الاستعمار لإفريقيا الغربية، وأمام النشاط التبشيري الواسع المدعوم من هذا الأخير[68].

---

[65]- انظر الموقع: www.habous.90v.ma

[66]- السعدي، **تاريخ السودان**، 16؛مسعود عمر محمد علي، " رسالة دكتوراه ": **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي**،70.

[67]-السعدي، **تاريخ السودان**، 16.

[68] زبادية عبد القادر،ى**دراسة عنإفريقيا جنزب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010)، 224 زما بعدها.

إن انتشار الطرق الصوفية كان عن طريق التجار، وقد ظهرت وتقوت منذ بداية الخطر الاستعماري الحديث على المنطقة وعلى العالم الإسلامي ككل بداية من القرن 10 هـ/ 16 م، فحملت لواء المقاومة، ونشر الإسلام بين الشرائح التي لم تعتنقه، وتعميق تعاليمه سواء في بلاد المغرب أو بلاد السودان، وقبل ذلك في الأندلس، وجذبت إليها الشباب ومازالت، ومن هذه الفرق التي لها وجود واسع حتى اليوم[69]:

I- **الطريقة القادرية:** تنسب هذه الطريقة إلى عبد القادر الجيلالي (470 -561 هـ/ 1077- 1166 م) انطقت هذه الطريقة من بلاد المغرب شمالا خلال القرن 9 هـ/15 م نحو السودان الغربي حيث تمركزت في قبائل لواتة أولا في موريتانيا، ثم وصلت تبكت بمالي قبل أن تعم السودان الغربي كله، وقد أقامت لها مدارس وزوايا وكتاتيب لتعليم القرآن والعلوم الإسلامية، وقامت بنشر الإسلام، وطقوس الطريقة.....

II - **الطريقة التجانية:** تنسب إلى مؤسسها أحمد التيجاني بن محمد بن المختار بن سالم، وتمتد شجرة نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (ت 1231 هـ/ 1815 م)، الذي ولد في عين ماضي بالجزائر. وعاش متنقلا بين مسقط رأسه وتلمسان، والأبيض سيدي

---

[69]- **الطرق الصوفية التي سلكتها إلى قارة إفريقيا** – مقال –انظر الموقع
www.httcpsM//m.facebok.com،

الشيخ، وفاس حيث توفي ودفن، وانتقلت طريقته من بلاد المغرب إلى حوض السنغال، ثم دخلت تبكت قبل أن تعم أنحاء السودان الغربي وتمتد حتى الحبشة، وتعد الطريقة التجانية من أكثر الطرق اتباعا في منطقة السودان الغربي حيث تنتشر في موريتانيا، والسنيغال، ومالي، وغينيا، وساحل العاج، وبوركينا فاسو، والنيجر، ونيجيريا، وتوقو، وغانا وبنين، وامتدت إلى تشاد، والكمرون، والسودان، كما تنتشر الطريقة التجانية في بلدان المغرب الغربي اليوم، وقد صادف انتشارها الدخول الاستعماري للمنطقة السودانية، فكان مريدوها من أشرس المقاومين للاستعمار الفرنسي، والطريقة التجانية كما يقول مؤسسها مبتكرة، ولم تتأثر بأي طريقة:" إن الفتح قج جاء من رسول الله ﷺ مباشرة، وأنه لم يكن في حاجة إلى أخذ السند من الآخرين، ولو كانوا مرابطين لأن المقصود لم يأت منهم"[70]

III – **الطريقةالسنوسية:** تنسب إلى الفقيه الجزائري سيدي محمد بن علي السنوسي الكبير (ت 1245 هـ/1830 م) ولد بمستغام في الجزائر، وانتشرت طريته شرق وشمالا ببلاد المغرب وخاصة ليبيا بين قبائل واحة جغبوب، ومنها انتشرت جنوبا بين قبائل بيلي شمال نيجيريا، وشمال

---

[70]- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، (الجزائر: عالم المعرفة،2011)، 509/1.

بحيرة تشاد بالسودان الغربي والأوسط لاسيما قبائل التِّدا، وفي واداي التي تقع شرق بحيرة تشاد.

إن الثلاثي المتمثل في المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية، والتصوف بطرقه أدى إلى وجود انسجام دائم في بلاد المغرب الإسلامي والسودان الغربي والأوسط، فجنب المنطقتين الكثير من المحن والفتن على مدى قرون.

- **الإباضية:** قام المغاربةمنذ النصف الثاني من القرن 2 هـ/ 8 م انطلاقا من زويلة، وجبل نفوسة، وغدامس، والجريد في ليبيا ومن مضارب قبيلة هوارة، ومن تاهرتالرستمية وتلمسان الزناتية بدور هام في ربط علاقات قوية ومباشرة بين بلاد الغرب الإسلامي، والسودان الغربي والأوسط وانتشار الإسلام في المنطقة، وكانت بعض فروع هذه القبائل قد توغلت إلى ما وراء جبال الهقار وتبستي، وذلك للتجارة[71]، وتفيد المصادر الإباضية منها ابن الصغير عن أن أفلح بن عبد الوهاب أرسل سفارة إلى ملك السودان قادها فتى وسيم يعرف بمحمد بن عرفة[72] تحمل

---

[71]- ابن خلدون، **العبر**، 6/، 284 ، 290؛ حسين أحمد الياس، **العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي بين القرنيين الثاني والخامس الهجريين/ الثامن والحادي عشر الميلاديين**، رسالة دكتوراه في الفلسفة في الدراسات الإفريقية – قسم التاريخ – جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، 1982. ص، 179.

[72]- محمد بن عرفة (261-874 هـ/ 875-1469 م)، أصله من القيروان وفد إلى تيهرت على عهد أبي بكر بن أفلح بن عبد الوهاب الذي صاهره، ومات مقتولا فكان سببا لثورة كادت

هدية[73]، ولا ريب أن الهدية كانت تعبر عن علاقة وطيدة وقديمة بين المنطقتين أو المجتمعين، وأن هذه العلاقة لا تكون إلا تجارية أولا وثقافية ثانيا، كما ارتبطت الإباضية مع هذه البلاد بعلاقات حتى بعد سقوط تيهرت لاسيما مع غانة خلال القرن 5 هـ/ 11 م حيث توالت البعثات الإباضية إلى بلاد السودان وممالكها، وقد تمكن أحد السفراء الإباضيين علي بن يخلف من إقناع أحد ملوكها الوثنيين(ملك مالي) في قصة شبه اسطورية باعتناق الإسلام سنة 575 هـ/ 1179-1180 م، إلى جانب الإفادة من التجارة لاسيما في جلب الذهب الخام " التبر"[74]، ومواد أخرى، ويلاحظ أن تعدد المسالك التجارية، وتفتح المغرب على التجارة العالمية في هذه المرحلة الحضارية قوى هذا الاتجاه، وراح يسهم في تحول بلاد السودان الغربي والأوسط إلى منطقة إسلامية مغربية أو غربية مع استمرار تعمق الإسلام واعتناقه ونشره من المسلمين المغاربة والسودانيين المسلمين لاسيما الجيل الجديد.

تعصف بابي بكر والإمامة نفسها. انظر، **معجم أعلام الإباضية** ، جمعية التراث(غرداية: المطبعة العربية، 1999)، 811/4.

[73]- **أخبار الأئمة الرستميين**، 63.

[74]- الدرجيني أحمد بن سعيد أبو العباس، حققه وقام بطبعه، إبراهيم طلاي، **كتاب طبقات المشائخ بالمغرب**، (قسنطينة/ الجزائر: مطبعة البعث، 1974)، 570؛ ليفيتسكيتاديوس، **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة ماهر جرار، وريما جرار (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000)، 52.

وبحكم الظروف الطبيعية والسياسية والموقع الجغرافي فإن الإباضييفي الدولة الرستمية وعبر انتشارهم في جنوب تونس وليبيا قاموا بدور الوسيط التجاري بين السودان الغربي وشمال بلاد المغرب والأندلس وجزر البحر المتوسط لاسيما في الفترة الممتدة بين القرنيين الثاني والرابع الهجريين/ الثامن والعاشر الميلاديين، وأن تجارهم الذين ارتادوا بلاد الودان الغربي والأوسط، ولم يكونوا تجارا فحسب، بل كانوا إلى جانب ذلك دعاة، وعلماء، وفقهاء، فلم يتحملون مشقة السفر من أجل الدوافع الاقتصادية وحسب، وإنما كانوا يفعلون ذلك لدوافع دينية تبليغية تتصل بالدعوة إلى الإسلام[75]، وقد أدى – الوجود الإباضي في عمق الصحراء الكبرى – إلى تهيئة الظروف لتنقل القوافل التجارية والدعاة وذلك بإقامة المراكز التموينية أو الاستراحات، وحفر الأبار، وتأمين الطرق من غارات البدو، ومن ثم ربط علاقات متنوعة بين الغرب الإسلامي، والسودان الغربي والأوسط وهو ما شجع الأمير أفلح بن عبد الوهاب إلى العزم على السفر بنفسه إلى بلاد كوكو لولا تدخل والده، ويدل ذلك على أن العلاقات بين المنطقتين قد توطدت وتعمقت، وأن تحول المنطقة السودانية قد تم فعليا، وأن تأثير الإسلام الروحي والحضاري قد بلغ أوجه، وأن التبادل التجاري قد أصبح قويا، ولم يصل

---

[75]- ليفيتسيكيتايدوس، **المؤرخون الإباضيون** ،52 ؛ ناصر محمد، **دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا**، (سلطنة عمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، د ت)، 5.

إلى هذه المرتبة إلا بفضل التنظيم المحكم للقوافل، وتأمين الطرق، وتعدد الوسائل وهو ما سيعرض لاحقا.

- **الطوارق**[76]: يسمون " الشعب الأزرق " لصبغ جلودهم وثيابهم باللون الأزرق، كما يسمون أنفسهم كلْ تماشقنن وكلْ تماجق، وكلْ تماهق، وهم الأمة الأمازيغية التي تستوطن الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر، وأزواد شمال مالي، وشمال النيجر، وجنوب غرب ليبيا، وشمال بوركينا فاسو، وهم مسلمون مالكيون يتحدثون اللغة الطارقية بلهجاتها الثلاث: تماجق، وتماشق، وتماهق، وقد عاشوا في الصحراء الكبرى حياة الترحال منذ آلاف السنين، فكانوا يعرفون في ذلك الوقت بالجرمنتيين الذين أسسوا دولة عظيمة من أكثر من عشرين قرنا برزت أكثر في الصحراء الليبية وامتدت عبر الصحراء الكبرى ذات حضارة متطورة، وكانت " جرمة " في وادي الآجال عاصمة لهم[77]، وفي أوائل العصر الإسلامي عرفوا بالمثلمين، ثم بالمرابطين، وأخير بالطوارق،

---

[76]- كما قيل أنهم ينسبون إلى طارق بن زياد لطرقهم الصحراء وتوغلهم فيها، وهو تفسير لغوي؛وقد أطلقت هذه التسمية من الشعوب المجاورة . انظر، مسعود عمر محمد علي، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي** ، 26.

[77]- انظر الموقع: https:// ar.m. wikipedia.org

ويبلغ عددهم في الدول الأربع حوالي 1330000 نسمة حسب إحصاء عام 1414 هـ/ 1994 م[78].

والطوارق مجموعة قبائل تشمل قسمين كبيرين : الأول قبائل محاربة تقوم حياتها على الغزو، ونشر الإسلام، ولعلها هي التي كانت تؤمن طرق القوافل التجارية، والثاني قبائل أخرى وهي بدورها تنقسم إلى قبائل محاربة وتهتم بالعلم منهم العلماء والفقهاء والأدباء، وقبائل تشتغل بالعلم فقط ولا تقوم بالغزو، وبين هذه القبائل علاقات قرابة وتعاون قديمة جدا[79] .

وقبائل أسلاف الطوارق عديدة كانت تنتشر في الصحراء الكبرى وفي نفس المناطق التي يتنشرون فيها اليوم وهي: لمتونة، ومسوفة، ولمطة، وترغة، وسرته، وجزولةوسمطة، وتاركاغت، وكاكدم، وتندغ، ووانتصر، وبنونينس، وتريكة، وزغارة، واشان، وثمالة، وإيتوارى، ومداسة، وكدالة، وهسكورة[80].

وقد قام الطوارق بدور أساسي في نشر الإسلام، والتوغل في المناطق البعيدة والصعبة، ونقل المؤثرات الثقافية والاجتماعية، ولا سيما في

---

[78]- النيجر، 700000 نسمة، ومالي، 400000 نسمة، وبوركينا فاسو، 160000 نسمة، والجزائر 70000 نسمة . انظر الموقع: https:// ar.m. wikipedia.org

[79]- **نفس الموقع**.

[80]- ابن خلدون، **العبر**، 183/6.

الحركة التجارية بتنظيم قوافلها، وتأمينها، وتوفير مستلزماتها عبر الطرق الصحراوية البعيدة والشاقة لاسيما في توفير الماء والجمال للنقل.

التركيبة السكانية الجديدة: بانتشار الإسلام في السودان الغربي والأوسط تغير الوضع الديمغرافي الذي سبق أن عرضنا له في مستهل هذا العمل، فقد وصلت المنطقة هجرات جديدة حامية وسامية انضافت إلى الهجرات السابقة على الإسلام، واستقرت بمختلف هذه المناطق، ونتيجة لذلك، وللظروف الطبيعية والمناخية وبمرور الزمن تغيرت ملامح السكان، ولذلك نجد خليط من الأجناس، ولم تحتفظ أي مجموعة بخصائصها الفيزيولوجية من ذلك القبائل: العربية، والسوننك، والبمبازة، والألوف، والسنغاي، والطوارق، والفلانة، والتكرور، والموشى[81]، وملامح أفراد هذه القبائل خليط من السواد والبياض يصح أن يطلق عليهم اللون أو الملمح الأسمر، وهذا ما نجده اليوم في بلاد المغرب عموما لاسيما جنوبا، ومنطقة غرب إفريقيا خصوصا فالامتزاج البشري أو الجنسي واضحا

---

[81]- انظر الموقع، www.islambeacon.com.

المســــــــالك التجـــــــاريـــــــة

المسالك التجارية: المسالك التجارية بين الغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي والأوسط متعددة، وقد تطورت بمرور الزمن والتقدم الحضاري العربي الإسلامي، وانتشار الإسلام، والثقافة العربية في المنطقة، وتجب الملاحظة في البداية أن هذه المسالك اختلفت في الأهمية حسب الظروف السياسية، والاقتصادية للمنطقتين الغرب

الإسلامي من جهة، وبلاد السودان الغربي والأوسط من جهة أخرى، وأهم المسالك أربعة كبرى ولها فروع في المنطقتين[82] وهي:

المسلك الأول: وهو الشرقي الذي ينطلق من برقة وطرابلس نحو فزان مارا بجبال تبستي باتجاه بحيرة تشاد وودان ودولتي كانم وبرنو، أو شمال تشاد والكامرون ونيجيريا وشرق النيجر اليوم، ويعضده مسلك يقع شرقه وهو طريق أوجلة، وزالة وودان إلى كُوَّار حتى كوكو[83].

المسلك الثاني:الذي ينطلق من القيروان وطرابلس إلى غدامس، ثم مرزوق أو مرزق مارا بجبال طاسيلي باتجاه تادمكةكاغو[84] نحو دولة سوكوتو النيجر ونيجيريا والكامرون اليوم، وهو من الطرق الهامة لمسافته القصيرة، ولقلة معوقاته أو مخاطره الطبيعية والبشرية.

المسلك الثالث:ينطلق في فرعه الأول من تونس والقيروان، والثاني من قسنطيةوالزيبان، ويلتقيان في وارجلان، والثالث من تلمسان، والرابع من الأندلس عبرمضيق جبل طارق وفاس ومراكش وسجلماسة، وتلتقي

---

[82]- يحسن الرجوع إلى الخرائط المرفقة، وإلى بعض المراجع منها : **طريق القوافل، طبع المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ**، الجزائر، سنة،2001، وإلى" **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر**"، طبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984/1404، لومبار موريس، **الإسلام في مجده الأول من القرن 2-5 هـ/ 8-11 م** ، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1979)334، 335.

[83]- H.Murray, histoi

[84]- سمي كذلك لأنه أشبه بموقع مكة المكرمة .

الفروع الأربعة في توات ومنها نحو جبال الهقار ونحو منحنى نهر النيجر عند جاو وتمبكت، ومالي أو نحو غرب النيجر، ومالي اليوم، وهو طريق صعب، ومخاطره كثيرة طبيعية وبشرية.

المسلك الرابع: وهو المسلك الغربي الذي يبدأ في الأندلس مارا بمضيق جبل طارق نحو فاس ومراكش، ودرعة والصحراء الغربية، إلى أدرار وأودغست بموريتانية اليوم، وصولا إلى غانة ومالي وتمبكت، وهذا الطريق مهم جدا لأنه أقرب بالنسبة للأندلس من جهة ولأقدم دولة في بلاد السودان الغربي غانة، وحوله جرت العديد من الصراعات قصد السيطرة عليه منها الصراع الفاطمي الأموي.

وقد تناول الجغرافيون العرب الطريق الغربي، وقدموا بعض المعلومات عنه من حيث وصف الطريق، ومحطاته، والتضاريس التي يمر بها، ومسافاته ومدة قطعه، فاليعقوبي يقول عن هذا المسلك:" ومن سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان من سائر بطون الوديان يسير في مفازة Mafaza (الصحراء أو البرية القفر)، والصحراء مقدار خمسين رحلة (مرحلة = 44.520كلم أي حوالي 2226 كلم) ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية "[85]

---

[85]- اليعقوبي، **البلدان**، 199.

وسائل النقل والتنقل: من أقدم وسائل النقل عبر الصحراء الجمل، والخيول، لكن يلاحظ من خلال النقوش، والرسوم الصخرية أن العربات التي تجرها الخيول كانت من أعرق هذه الوسائل أيضا، وقد استخدمها الجيتوليون، إلا أنه في العصرين النوميدي، والإسلامي لا نرى أثرا لذلك . فلماذا هذا التخلي أو الإغفال؟ فالمصادر لا تشير إلا للجمال والخيول، ولم تذكر البغال والحمير ولعل هذين الصنفين لم يكونا يصلحان للمسافات الطويلة بل القصيرة فقط، إضافة إلى صعوبة تغذيتهما وشربهما عبر مناطق قاحلة يندر فيها وجود الماء، وبكميات كافية، أما الجمل والحصان فلهما ميزات خاصة، ويبقى السؤال مطروحا لماذا تغيبت العربات المجرورة في هذه العصور التي تعد أرقى حضاريا ؟ .

الجمل: بالنسبة للجمل فهو يأتي في مقدمة هذه الوسائل وله مزياه، وملائمته لخصائص البيئة الصحراوية[86]، فهو يتحمل العطش والجوع لأيام، ويسير فوق الرمال دون أن يغرق فيها لخاصية حوافره لذلك شبه بسفينة الصحراء، كما أنه يحمل الإنسان وأثقاله، ويبدو أنه كان موجودا ببلاد المغرب منذ ألف سنة ق م كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

86- الهاشمي رضا جواد، **تجارة القوافل في العربي التاريخ القديم** ،تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، 12.

الحصان: أما الخيول وبالخصوص" الحصان" تعد من أقدم ما أستخدم ربما حتى قبل الجمل نظرا لملاءمتها مختلف البيئات الطبيعية، وإذا كان من المؤكد استخدامها في بلاد الغرب الإسلامي فإن استخدامها لدى شعوب السودان الغربي يبدو غامضا، ويرى البعض أن أصل الحصان منحدر من الخيول البرية العائدة إلى العصور الجليدية، وهو ما أثبته علم الأثار الصخرية كأثار طاسيليفي جنوب الجزائر حيث روضه الإنسان في تلك العصور، واستعمله في أغراضه كالصيد، والتنقل، والحرب، والعروض الفروسية، وفي التجارة، وانتقل من شمال إفريقيا إلى أوروبا خلال العصر ين الإغريقي والروماني، كما يكون قد انتقل إلى بلاد السودان الغربي والأوسط متأخرا، ومن أهم صفاته أن وجهه أكبر من وجه الحصان العربي، وطويل وضخم، وسريع الحركة يتحمل الجوع والعطش لأيام[87]، وقادر على المشي لمسافات طويلة، ومقاوم للعوامل الفيزيولوجية كالحرمان من الماء مما يعد الأفضل للصحراء،والصبر واللانفاذية، وخصائص أخرى مدونة في الحاشية " رقم1 "، وهو ما يؤهل الحصان البربري من التوغل في أعماق الصحراء إلى جانب الجمل حتى بلاد السودان الغربي مقربا المسافات وقائما بدور

---

[87]- للحصان البربري خصائصأخرى تتمثل في: الطول من 1.55 إلى 1.60 م، والوزن 400 إلى 500 كلغ، والأعضاء صلبة خاصة الكتف وقوية ومعقودة إلى الصدر الذي هو عميق وواسع، والظفر ثابت، والذيل ينحدر على الردف يصل حتى الأرض، والفخضين جافين ومسطحين، كما يتميز باستقامة الظهر، واللون البني في الغالب، وليس للحصان البربري إلا 5 فقرات بدل 6 فقرات عند الحصان العربي، وهو قادر على التحمل دون الحد من مرونته، وشجاع ومتوازن إلى جانب السرعة. انظر الموقع الإلكتروني :
https:// ar.m. wikipedia.org

الاتصالات وناقلا سريعا، ومدعما للعلاقات التجارية والاجتماعية والأمنية بين المنطقتين.

الحمير والبغال[88]: هما من فصيلة الحصان أو الخيلات، فالحمار حيوان أليف من جنس الحصان، وهو نوعان نوع يعيش في براري إفريقيا وصحاريها، ونوع ثان موجود في مختلف مناطق العالم، وقيل أنه وجد في بلاد المغرب منذ 4000 سنة ق م، ومن خصائه أنه يملك وداعة البقرة، وجلد البغل، وشجاعة النمر، وذكاء يقارب ذكاء الإنسان طوله أكثر من 1 م .يحمل من 20 إلى 30% وزنه، أما البغل وهي تسمية حبشية أمهرية حيوان هجين أمه الفرس وأبوه الحمار، ومن خصائصه أنه يحمل صفاتهما، فله جسم متوسط، سريع الحركة معمر وعقيم وبصره قوي، ومقاوم للأمراض. يقوم بالأعمال الشاقة التي يعجز عنها الحمار والحصان.

فهما إذن قاما بأدوار هامة في نقل البضائع محليا حيث المسافات القصيرة، وفي الصحراء والجبال كما في المناطق السهلية، وهما أيضا من الوسائل التي هي في متناول الفقراء والأغنياء على حد سواء خاصة الحمار.

وصف الجغرافيين والرحالة للرحلة: تفيد كتب الجغرافيين والرحالة الباحث بمعلومات جد قيمة عن وصف رحلة القوافلمنه هذا الوصف الذي أورده الإدريسي عن القوافل التي كانت تنطلق في فصل

88- نفس الموقع.

الخريف[89]، وتسير يوميا مسافة تكون بدايتها عند الفجر بعد أن توقر[90] الجمال، وتسير القافلة إلى مطلع الشمس وعند اشتداد حرارتها، فتحط أحمالها وتقيد الجمال، وتنصب الخيام للأستظلال بها، وعند أول العصر وبعد أن تأخذ الشمس في الميلان جهة الغرب ترحل القافلة من جديد وتسير حتى منتصف الليل واشتداد الظلام فتنزل وتبيت بقية الليل إلى الفجر الأخير ثم ترحل من جديد[91] .

أما مكونات القافلة فلا تفيد المصادر عنها إلا قليلا، فقد قيل أن القافلة الواحدة والآتية من المسالك الفرعية، بالإضافة إلى ما ترافقها من خيول تستعمل في حفظ الأمن واشتكشاف الطريق، والاتصالات وغيرها، كما يمكن إضافة بعض البغال والحمير ولو لمراحل محدودة، وهكذا نرى أن القافلة الواحدة عبارة عن أسطول ضخم منظم له مستكشفوه، وأدلاؤه.

والقافلة تضم العديد من العناصر البشرية أصحاب الجمال والبضائع، والخدم، والدعاة، والعلماء، والمرشدين أو الأئمة، والعبيد، وربما الشعراء والمغنيين للترفيه، وعدد من رجال الأمن المسلحين، وعيون (المخبرين) الدول والممالك.

السلع المتبادلة: لقد تنوعت السلع المتبادلة بين المنطقتين تصديرا واستيرادا في الاتجاهين وهي:

---

[89]- ربما لأن الإدريسي سافر في هذا الفصل.

[90]- يحملونها أثقالهم . انظر، ابن منظور، **لسانالعرب**، 364/15، الرازي، **مختار الصحاح**، 461، مجمع اللغة العربية،**المعجم الوسيط**، قام بإخراجه مجموعة منهم إبراهيم مصطفى، (د دون ذكر دار الطبع ولا تاريخ)، ج 1،2 ص،1106.

[91]- الإدريسي، **نزهة المشتاق**، 107/1.

1- السلع المستوردة من بلاد السودان:وتتمثل في الذهب وهي أهم سلعة، والفضة، والعاج، والعبيد وهي السلعة الثانية بعد الذهب في الأهمية، والملح، والأبنيوس، والعسل، والصمغ، وحبوب الكولا، وريش النعام وبيضه حيث يدخل في تركيب الأدوية، والشب وغيرها[92] .

2- السلع المصدرة إلى بلاد السودان": وتشمل الحبوب لاسيما القمح، التمر، والزعفران، والخيول، والمصنوعات النسيجية كالقماش والألبسة، والحديدية منها السلاح كالسيوف، والخناجر وغيرها، والجلدية كأنواع النعال والأحذية، والأصباغ، وغيرها من البضائع المختلفة[93].

وقد أنشئت أسواق في معظم المدن والقرة السودانية قال عنها المهلبي أنها" جليلة، والسفر متصل إليها من كل بلد"[94]، كما أنها تطورت تطورا كبيرا بفعل خبرات التجار المغاربة المسلمين، فظهر بها التخص حيث كانت جني مختصة في سوق الخيول[95]

92- البكري، **المسالك**، 371، 372، 374 ؛ ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، كتاب **صورة الأرض**، (بيروت: دار صادر، تصوير عن مطبعة بريل بمدينة ليدن 1938)،101؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**،107/1 وما بعدها؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، 278/5 وما بعجها، الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، منذ نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999/1420)، انظر الفصل الثالث ص، 265 وما بعدها، لومبار موريس، **الإسلام في مجده الأول** ، 334.

93- نفس المصادر السابق الذكر بالنسبة للسع المستوردة.0

94- المهلبي الحسن بن أحمد، **الكتاب العزيزي**، جمع وتعليق، تيسير خلف، (دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع،2006)، 45

95- المهلبي**الكتاب العزيزي** ، 55، **ابن بطوطة**، 692، القلقشندي، **صبح الأعشى**، 276/5، الوزان، **وصف إفريقيا**، 178/2.

المراكز الحضارية ودول المنطقة

المراكز الحضارية في المنطقتين: قامت المراكز الحضارية على طول المسالك أو الطرق التجارية، وفي مناطق الربط بين الأقاليم لاسيما في الصحراء، ويدل قيام هذه المراكز خاصة في هذه المناطق على أن الصحراء كانت همزة وصل بين إفريقيا وبلاد المغرب[96]، وهي:

أ- مراكز بلاد المغرب:

❁ **فزان:** تعود تسميتها إلى اللفظة الاتينيةفتزانيا نسبة إلى فزان بن حام بن نوح[97]، وهي المنطقة الجنوبية الغربية الصحراوية لليبيا اليوم، والتي

---

[96]- جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، 58/1.

[97]- انظر الموقع: mawdoo3.com = تكرر هذا التفسير للأماكن والمدن بالنسبة إلى أبناء سيدنا نوح عليه السلام ولا أدري أي مدى صحة هذه الرواية التي تبدو وكأنهاأسطورة خيالية، وإن

تتميز بالجبال الصخرية، والواحات، وكثرة مياه الأبار، وهي مدينة تاريخية حيث كانت تعرف في القرن 5 ق م أمبراطورية جرمة تحكمت في طرق القوافل التجارية الجنوبية الشمالية، وفي القرن 8 هـ/ 14 م أصبحت تابعة لدولة كانيم، ثم استقلت فعرفت باسم دولة أولاد أمحمد عاصمتها مدينة مرزق، ويتكون سكانها من قبائل الطوارق، والتبو، والأمازيغ، والعرب، وكتب عنها ياقوت الحموي فقال:" مدينتها زويلة السودان لغلبة اللون الأسود على ساكنيها"[98]، وهي من أوائل المركز التي انطلق منها الإسلام نحو بلاد السودان الأوسط كما سبق ذكره.

❁**غدامس:** مدينة تقع في المثلث الحدودي الليبي التونسي الجزائري في الجزء الغربي لليبيا تبعد عن جبل نفوسة سبعة أيام، وعن طرابلس العاصمة اليوم 543 كلم، وهي قديمة تعود إلى 10000 سنة ق م، بها دواميس[99]، وكهوف ضاربة في بلاد السودان يدخل منها إلى بلد تادمكة التي تبعد عنها بأربعين مرحلة (1781 كلم) من بلاد السودان وغيرها،

يحق التساؤل عن أسباب تكرارها في الأدبيات العربية؟ علما أنه من الصعب الوصول إلى الحقيقية في هذه المسألة لأنها خاضعة للتغيرات الجيوسياسة، والاقتصادية والاجتماعية.

[98]- **معجم البلدان**، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1984/1404)، 260/4. أما الإدريسي الشريف فيذكر أنها مدينتان زالة وزويلة ومن زالة يدخل إلى السودان. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (بيروت: عالم الكتب، 1989/1409)، 312/1.

[99]- مفردها داموس وتعني البيت وهنا البيت تحت الأرض المحصنة من العوامل الطبيعة، والبشرية، أو بمرور الزمن غطتها الأتربة والرمال. الحميري محمد عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق، إحسان عباس، (ط ، 2 ، بيروت: مكتبة لبنان، 1984)، 427.

وكانت تشتهر بدباغة الجلود الناعمة، ويبدو أنها كانت تصدر ثياب تلك البلاد، وسكانها بربر طوارق من قبائل لمتونة ومسوفة[100].

❁**القيروان:** القيروان أم الأمصار، وعاصمة الإسلام الأولى في الغرب الإسلامي، تقع جنوب تونس العاصمة على بعد 160 كلم، ويعود تأسيسها إلى القائد عقبة بن نافع سنة 50 هـ/ 670 م كمعسر وقاعدة متقدمة للفتح الإسلامي في اتجاه الغرب حيث قامت بدور هام في الفتح من خلال الجهاد وفي الدعوة، فكما كانت تخرج منها الجيوش، كان يخرج منها أيضا الدعاة، والتجارات الكثيرة، وهي مدينتان القيروان وصبرة التي بناها الخليفة الفاطمي إسماعيل المنصور(ت 341 هـ/ 952 م) سنة 337 هـ/ 948 م، وهو الذي سماها بهذا الاسم، كما كانت القيروان قاعدة لعدد من الدول الأغلبية، والفاطمية، والصنهاجية، ومنها تخرج المسالك أو الطرقات وفيها تتجمع الآتية من كل صوب وحدب لعدة قرون[101]، لاسيما نحو السودان الأوسط عبر غدامس، والغربي عبر وارجلان.

---

[100]- **معجم البلدان**،187/4؛ الحميري ، **الروض المعطار** ، 427.

[101]- مصادر ومراجع القيروان كثيرة ومتعددة يمكن ذكر بعضها لاسيما الجغرافية منها: البكري، **المسالك**، 197/2، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، 284/1 ، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،420/4 ، مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، (الدار البيضاء/ المغرب: دار النشر المغربية، 1985)، 113؛ الحِمْيرَي، **الروض المعطار**، 486.

❁**وارجلان:** وارجلان أو واركلان، واركلا، وارقلانوارقلا، وورقلة[102] تسميات لمسمى واحد "مدينة وارجلان"، وقد ورد في معنى وارجلان عدد من الآراء فقيل أنها مركبة من وار war وتعني أولاد أو أبناء بالأمازيغية، و قلن أو إقلنglan أو iglanوتعني الأسود فسميت على أساس لون البشرة الأسود،وهو الرأي الأرجح، أما بقية الآراء فهي أقرب إلى الأساطير[103] وتعد أهم المدن في الصحراء، وأكبر محطة كانت تتجمع عندها المسالك التجارية الشرقية والوسطى والغربية. تقع اليوم في جنوب الجزائر وتبعد عن العاصمة الجزائرية بحوالي 819 كلم، وكانت ضمن أول دولة قامت بالمغرب الإسلامي هي الدولة الرستمية الإباضية سنة 160 هـ/ 777 م وحد من حدودها الجنوبية الصحراوية.

---

[102]- أعزام إبراهيم بن صالح بابا حمو، **غصن البان في تاريخ وارجلان**، دراسة وتحقيق، بحاز إبراهيم بن بكير، وبومعقل سليمان بن محمد، (غرداية/ الجزائر: العالمية، 2013/1434)، 56.

[103]- وهذه الآراء هي : أنها سميت بعد الفتح الإسلامي راقلة أو رقل وتعني في اللغة العربية أرتفع عن الأرض، وقيل أنها سميت باسم إمرأة أو نسبة إلى إمرأة تدعى " ورقلة " سكنت المنطقة، والتف حولها الناس، وفي المثيولوجيا: هي اسم أسد قيل أنه يهيمن على المنطقة ثم قتل فقيل بالبربرية " الويل أنجلا " . انظر، Jean Lethielleux , Ouargla Cite Saharinne Des Origines au Début . de xxSiécle . Paris. 1984. P. 19.

v.Largeau ; Le Pays De RirhaOuagla . Paris.1979. PP ;157.

أحمد ذكار، **مدينة ورقلة التسمية والتأسيس** - دراسة تاريخية ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، العدد، 17 ، ديسمبر 2014، ص، 162، 163.

ويبدو أن منطقة وارجلان كانت مؤهلة لأن تكون مركزا كبيرا متقدما نحو بلاد السودان الغربي والأوسط ومنه المدن الكبرى من حيث كثرة الواحات وتعدد منابع المياه العنصر الأساس في الصحراء ففي مسافة 50 كلم بين ورقلة وحاسي بغلة ويفرن وجبل العباد توجد أكثر من 25 بلدة، وعدد من العشائر[104] لكل منها مصرف ماء بلغت أكثر من 50 عينا، لذا كانت القوافل تتجمع في هذه المحطة لتروي جمالها وحيواناتها ولتتزود بالماء الكافي قبل توغلها في الصحراء التي تتباعد فيها منابع المياه[105].

توات: توات اختلف في معنى اسمها، وما قدم فيه لا يعدو اشتقاقا لغويا نسجت له حكاية كمرجعية له[106]، وتوات إقليم يقع جنوب العرق الغربي الكبير في الصحراء الجزائرية، وكذلك إقليم قورارة، وهضبة تدمايت، ومن الغرب والجنوب عرق شاش، وبالتحديد ولاية أدرار اليوم،

---

[104]- كأولاد إبراهيم بن إسماعيل، وأولاد عيسى بن أحمد، وأولاد ابن الشيخ، وأولاد محمد بن موسى، وأولاد جابر بن إبراهيم، وأولاد بوين بن الصحب، وأولاد عيسى بن نوح وعيسى بن إبراهيم بن سليمان، وغيرهم، وإن كانت هذه العشائر تبدو حديثة نوع ما، فإن المنطقة كانت بها قبائل زناتة، وربما القليل من صنهاجة ، فهي على العموم كانت عامرة بالسكان، وبالنشاط الاقتصادي والاجتماعي والعلمي. انظر، أعزام ، **غصن البان** ، 99.

[105]- من مصادرها: البكري، **المسالك**، 371/2،160؛ 48 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، 600. أعزام ، **غصن البان.**

[106]- الحكاية الأولى تعود بالتسمية إلى عقبة بن نافع الذي أرسل خيلا للمنطقة عقب عودته من الغرب سنة 62 هـ / 681 م حيث سأل : هل تُواتي هذه البلاد نفي المجرين، فتغير اللفظ حسب اللسان المحلي إلى" توات"، والثانية إلى عصر الموحدين الذين أمروا عمالهم بأخذ الأتوات(الغرامات) من أهلها فسميت " توات"، ويعتقد البعض أن التسمية تعود إلى اللهجات المحلية البربرية . انظر الموقع، www.taouat.net.

ومدن وقرى توات موزعة على وادي مسعود والطريق الوطني رقم 6 وأهمها مدينة أدرار، وتامنطيط، وزاوية كنتة، ورقان، وسالي ويبعد عن العاصمة الجزائر بحوالي 1500 كلم، ونظرا لطبيعتها المعزولة عن مناطق النزاعات والصراعات والحروب في الشمال في العصور الإسلامية المزدهرة ببلاد المغرب فقد كانت ملجأ أمنا وملتقى للقوافل التجارية الذاهبة إلى بلاد السودان الغربي والأوسط والآتية منهما[107] .

❁تلمسان: لؤلؤة المغرب الكبير، وتلمسن بلسان البربر الذي يتركب من " تلم" ومعناها تجمع، و" سن " ومعناها اثنان، لكونها تجمع بين الصحراء والتل، وقيل بين مدينتين تقرارات التي أسسها يوسف بن تاشفين، وأكادير التي أسسها أبو قرة اليفريني على أنقاض بوماريا[108]،

---

[107]- ابن خلدون أبو زكرياء يحيى، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، (الجزائر: دار المعرفة للنشر والتوزيع، 2011)، 122 = كما تعرض كل من محمود كعت، وأبو القام سعد الله إلى بعض أعلام توات منهم الداعية الفقيه عبد الكريم المغيلي ، والرحالة الحاج ابن الدين الأغواطي. **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، طبع هوداسدلافوس، (مطبعة بردين في أنجي، 1964)،15؛ **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، (الجزائر : عالم المعرفة، 2011)، 386/2. انظر الموقع ، https:// m.facebook.com

[108]- توجد العديد من الآراء حول أصل التسمية ومعناها منها رأي جورج مارسي الذي يعتقد أن اسم تلمسان أمازيغي مكون من " تالا " ومنعاه المنيع، و " يمسان " ومعناه الجاف لتصبح " المنبع الجاف " أو مدينة الينابيع، وقيل هي جيب الماء، وتحمل عدة تسميات منها بوماريا، وأغادير أي القلعة تسمية محلية أمازيغية، وتقرارات ، والجدار، ولؤلؤة المغرب الكبير، وعروس المتوسط. انظر

Bargés ,**TlemcenCncienne Capitale** du Royaume de nom (sa topogrraphie,son histoire, descriotion de principaux monuments anecdottes, légendes et récite divers), souvenir d'un voyage , paris, 1859.P,187.

وكانت تلمسان نقطة هامة لانطلاق القوافل التجارية نحو بلاد السودان، ومحط لأخرى الآتية من الأندلس عبر البحر، ومن المغرب، ومن الشرق تونس وغيرها، وتوجد أيضا على الطريقين المؤديين إلى السودان الغربي والأوسط عبر سجلماسةووارجلان ، وهي أيضا مدينة العلم والعلماء، وفي القرن 10 هـ/ 16 م كان سكانها مكونين من ثلاث طوائف: تجار، وصناع، ونبلاء أو أشراف[109]، وهو ما منحها قوة في المجال الاقتصادي عموما والتجاري خصوصا.

❁**سجلماسة:** المصادر والمراجع لا تتناول معنى التسمية، والقليل منها حاول تفسيرها فقيل أن القائد الروماني الذي بناها سماها " سجلو ماسة "، وتعني في اللغة اللاتنية " خاتم النصر "[110]، وسجلماسة مدينة تاريخية كانت تقع وسط واحة كبيرة على مجرى مائي. مساحتها حوالي 300كلم^2 جنوب الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى، وشرق مدينة مراكش في إقليم تافيلالت، وهي اليوم موقعا أثريا يضم الكثير من الأطلال الأثرية، وكانت تعد من المدن الإسلامية الهامة التي شيدت بعد الفتح الإسلامي،

مارسي وليم جورج، **المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان**، تقديم وترجمة، مراد بلعيد، وعلي محمد بورية، وفلة عبد مزيام، (الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 2011/1432)، 32.

[109]-البكري، **المسالك**، 259/2؛ مجهول، **الاستبصار**، 176 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، 135؛ كربخالمارمول، **إفريقيا**، 300.

[110]- يبدو أن محاولة مارمولتجانب الحقيقة حيث أن حواضر المغرب تعود أصول تسمياتها إلى اللغة الأمازيغية، مع التذكير بأن سجلماسة بعيدة جدا عن التأثير الروماني. انظر، مرمول، **إفريقيا**، 153/3.

وقاعدة لإمارة بني مدرار الصفرية التي أسسها أبو القاسم سمكو بن واسول، وضمها المرابطون ثم الموحدون والمرينيون إليهم، وبعض المصادر تقول أنها بنيت سنة 140هـ/ 757 م[111]، وتعد محطة على الطريق الغربي الرابط بين بلاد الغرب الإسلامي والسودان الغربي باتجاه محطة أودغستوتمبكت، و بينها وغانة مسيرة شهرين، ورغم طابعها الفلاحي، وتطور بعض الصناعات فيها، فإنها اشتهرت بتجارة القوافل، فإليها تأتي تجارة المشرق (العراق ومصر)، ومن الأندلس، ونواحي بلاد المغرب، ومن بلاد السودان، وإلى هذه البلاد تتجه القوافل التجارية منها[112]، وكانت تسكنها العديد من العناصر السكانية كزناتة، وصنهاجة، ومصمودة، ومسوفة من البربر، والعرب، والأندلسيون، والأفارقة وأهل الذمة، وفئات ملونة أخرى، وكلها قامت بدور فعال في تطور المدينة واتساع حركة التجارة لاسيما مع بلاد السودان[113].

ب – مراكز بلاد السودان الغربي والأوسط:

111- قيل قديمة تعود إلى العهد الروماني. انظر، مارمول،**إفريقيا**، 153/3.

112- www.toratagadir.blogspot.com

113- مصادرها كثيرة ومتعددة منها: اليعقوبي، **البلدان**، 198= وهو من أوائل الجغرافيين العرب الذين ذكروها، البكري، **المسالك**، 332/2؛ الأصطخري، **مسالك الممالك**، 39؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، 225/1. مجهول، **الاستبصار**، 200؛ الحميري، **الروض المعطار**،305؛ مارمول، **إفريقيا**، 153/3.

❁أودغست: أو " أودغشت " [114] من أهم مراكز التجارية في السودان الغربي، تقع جنوب شرق موريتانيا اليوم، وهي عبارة عن أطلال أثار، وكانت مدينة هامة وقاعدة لبلاد أنبية التي تكونت من تحالف قبائل صنهاجة، ومركزا تجاريا هاما لها على حدود مملكة غانة، حيث قامت بدور فعال في البداية. ذكرها اليعقوبي[115]، وأفاض في الحديث عنها البكري فقال: " إنها مدينة كبيرة رملية آهلة يطل عليها جبل كبير، وبها جامع ومساجد كثيرة وحولها بساتين النخيل، وملكها دان إليه أكثر من عشرين ملكا يؤدون إليه الجزية "[116]، وبعد تطور شهدته المدينة اضمحلت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهي اليوم أطلال أثار في الجنوب الشرقي لموريتانيا.

❁كومبي صالح: تقع مدينة كومبي صالح عاصمة مملكة غانة في الجنوب الشرقي لموريتانيا على الشريط الحدودي مع مالي، ويعود تأسيسها إلى القرن الثالث الميلادي حسب بعض الآراء، وقد وصل تعداد سكانها في القرن 5 هـ/ 11 م حوالي 30 ألف نسمة، وبذلك كانت

---

[114]- لم أتمكن من مفهوم الاسم " أودغشت" اصطلاحا، وفي اللغة العربية " دخل الظلام وحام حول الماء عطشا، وطلب الشيء في حرصومنع " وهو تفسير لغوي فقط. انظر، **المعجم الوسيط**، ، 330.

[115]- **البلدان**، 199.

[116] – **المسالك**، 2 /344؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 277/1، الحميري، **الروض المعطار**، 63؛ حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، (ط، 3 ، مكتبة النهضة المصرية، 1984)، 215.

تعد أكبر تجمع سكاني في المنطقة، وأكبر قوة، وقد دخلها الإسلام على يد عدد من الدعاة حيث بنيت بها المساجد، وكتاتيب تعليم القرآن الكريم، ومنها انتشر الإسلام في جل الدول الإفريقية المعروفة الآن والتي تشكل غرب إفريقيا، وقد قامت بدور فعال في التجارة لاسيما الذهب كمحطة بين مناجم الذهب جنوبا، والقوافل التجارية التي ترد عليها من الشمال أي بلاد الغرب الإسلامي[117].

❁**تبكت أو تبكتو**: تبكت جوهرة الصحراء تقع شمال منحنى نهر النيجر إذ تبعد عنه بنو 8 أميال (حوالي 13 كلم)، كما تبعد عن عاصمة مالي بحوالي 1000 كلم في منطقة رمال صفراء بنسبة 95 %، وهي عاصمة أمبراطوريات منها سنغاي، والفلاني، واسمها حسب الرويات مأخوذ من وصف مهنة إمرأتطارقية من طوارق إمقشرن يطلق عليها بلغة التماشق" تن بكتاوان" أي حافظة الأمانات والودائع في فصل الصيف إلى فصل الشتاء حيث السكان يودعون عندها أمتعتهم التي يخزنونها في الصيف لتحفظها للشتاء[118].

---

[117]- من مصادرها ومراجعها الموقع: https:// ar.m. wikipedia.org

[118]- وإذا كانت هذه الرواية خيالية أسطورية إلا أنها تدل على قيمة الأمانة في مجتمع بدوي رحال، ومحاولة إيجاد نوع من التنظيمات التي ترقى به وتصونه، وهذه الرواية تعد تيمنا بما عرف به في الجاهلية والإسلام رسول الله ﷺ .

وسكانها خليط من العرب الذين جاءوا من بلاد المغرب والأندلس والذين يعودون إلى ثلاثة اتحادات هي: كنتة، والأنصار، والبرابيش، والطوارق، وتبكت ملتقى طرق القوافل التجارية.

يعود تأسيسها إلى بداية القرن 5 هـ/11 م[119]، واشتهرت في منتصف القرن 9 هـ/15 م، وعصرها الذهبي القرن 10 هـ/ 16 م في عهد السلطان الحاج (1493 هـ/ 1528 م)، ومن أعلامها الكبار المشهورين أحمد بابا التنبكتي(1036 هـ/ 1626م)، وقد غزاها المغرب في عهد المنصور الذهبي عام 999 هـ/ 1591 م، وعلى إثر هذا انهار ازدهار تبكت[120].

وتشتهر تبكت بمكتباتها العريقة، وبالمخطوطات حيث بلغت أكثر من 60 مكتبة، وحوالي700000 مخطوطة أغلبها في التاريخ الإسلامي وعلوم الشريعة، وكان بها خلال القرنين 9و10 هـ/ 15 و16 م عدد من الجامعات والمدارس بلغت حوالي 180 مدرسة.

وهي مدينة إسلامية منذ تأسيسها، كما كانت سوقا وملتقى القوافل التجارية، وقد قامت في المدينة جاليات تجارية من مصر، وفزان،

---

[119]- يرى الوزان الذي رحل إلى المنطقة وزار مدينة تبكت، وكتب عنها في القرن 10 هـ/ 16 م أن اسمها حديث، وهو اسم مدينة بناها السلطان منسا سليمان سنة 610 هـ/ 1213 م، ثم يصف دُورُها التي هي عبارة عن أكواخ،وتحدث عن مساجدها، ودكاكينها، وصناعتها، وتجارها، وعن بضائعها، وعن الحياة الاجتماعية فيها، وتنوع سكانها. **وصف إفريقيا**، 165/2.

[120]- السعدي عبد الرحمن، **تاريخ السودان**، طبعه/هوداس، 20.
(LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE ET D'ORIENT PARIS 1981.)

وغدامس، وتوات، ووراجلان، ودرعة، وتفلالت، وفاس، وسوس[121]، مما يدل على العلاقات الوطيدة التي تربط بلاد الإسلام خاصة مصر والمغرب والأندلس ببلاد السودان الغربي والأوسط ربطا قويا متعدد الجوانب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية[122]، والروحية، والتي لا نقول أن أثارها مازالت ظاهرة بل هي تتواصل في شعوب المنطقتين بالرغم من ظروف الاستعمار والتخلف.

❁جاو أو قاو أو غاو: مدينة تقع شمال شرق مالي قاعدة منطقة قاو على الضفة الشرقية لنهر النيجر، وتبعد عن باماكو عاصمة مالي الحالية 1200 كلم. سكانها بلغوا حوالي 86 ألف نسمة (عام 2007 م)، وبها ظهرت أمبراطوريةسنغاي خلال القرن 5 هـ/ 11 م، وازدهرت بين مطلع القرن 9 هـ/15 م ونهاية القرن 10 هـ/ 16 م[123].

وتعد مركزا ثقافيا وتجاريا هاما وكانت تربطها ببلاد الغرب الإسلامي علاقات تجارية قوية منها تجارة الخيول المستقدمة من بلاد البربر

---

[121]- **نفسه**، 21.

[122]- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 50/2= تعرض بالذكر إلى عدد من أعلامها العلماء.

[123]- انظر الموقع. https:// ar.m. wikipedia.org

ونوميديا كما يقول مارمول الذي كتب عنها خلال القرن 10هـ/ 16 م، وتجارة الأنسجة خاصة الأندلسية[124].

❁كانو: تعد من أهم المراكز الثقافية، وأهم مدن شعب الحوصا. تقع شمال نيجيريا الحالية، وقد احتلها الفلانيون المسلمون وقضوا على وثائقها بداية من هجرتهم من التكرور غربا، وتبعد عن نهر النيجر بنحو 500 ميل (800 كلم)، وكان يسكنها صناع، ومياسير التجار، ويعيش غالبية أهلها من تربية الماشية، وقد قام هؤلاء بدور هام في نشر الإسلام في باق إفريقيا[125].

يبلغ عدد سكانها في عصرنا حوالي مليون نسمة، وهي بلاد ذات أشجار وأنهار ورمال وجبال وأودية، وكانت تحيط بالمدينة في القديم أسوار بها بوابات على الطراز المغربي المتميز، وأول من بنى سورها الأمير غجيبا سو (488- 528 هـ/ 1095-1134 م)، وتوسعت المدينة في القرنيين 9 و10 هـ/ 15 و16 م كما تطورت اقتصاديا، وشهدت هجرات متعددة خاصة من مالي، وتوسعت كثيرا على عهد السلطان محمد

---

[124]- في الأصل: الأنسجة الأوربية، ولا اعتقد أن أوروبا في هذه العصور كانت تصدر هذه البضاعة ، ولعل المقصود الأندلس حتى وإن تدهورت سياسيا فإن الإشعاع الحضاري استمر لاسيما مع المهجرين إلى بلاد المغرب . انظر، مارمول، **إفريقيا**، 204/3.

[125]- حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، 222.

نزاكي (1027-1032هـ/ 1618-1623 م)، قبل أن تتحول إلى إمارة في القرن 13 هـ/ 19 م تابعة للخلافة أو الدولة الصوكوتية.

وقد اشتهرت بإنتاجها الصناعي والزراعي كالنسيج، وصناعة الصبغة، وتنوع إنتاج أراضيها، وفي العصر الحديث أكتشف فيها البترول، وبذلك كانت على الدوام عصب الاقتصاد في نيجيريا، وغزاها الاستعمار الأنقليزي سنة1321 هـ/ 1903 م وتحررت منه كما تحررت نيجيريا.

❁جني: مدينة جني أو جينيه وصفها السعدي في القرن فقال:" عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة... وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة، ولكن المنافسة على الدنيا كانت من أخلاقهم جدا"[126]. تقع في المنطقة الوسطى لمالي على نهر النيجر الأعلى في السهل الفيضي، وقد تأسست في القرن 3 هـ/ 9 م، وازدهرت حوالي سنة 494 هـ/ 1100 م، وذلك في عهد الدولة المرابطية، وأغلب سكانها من الشعب الفولاني، وقد أصبحت جني حلقة اتصال بين بلاد المغرب، وبلاد السودان الغربي، ومركزا على الطريق الرابط بين تبكت شمالا، ومصادر الذهب جنوبا، إلى جانب أنها كانت تسهم في التغذية من

---

[126]- **تاريخ السودان**، 11.

خلال توفرها على كميات كبيرة من السمك المجفف، وفي الوقت نفسه تعد من أهم المراكز العلمية في السودان الغربي حيث أسلم كنبرو ملك جني نهاية القرن 6 هـ/12 م وحذا حذوه رعيته أمام 4200 عالم، فحول دار السلطنة إلى مسجد وبنى بيتا له بجانبه تيمنا بالرسول ﷺ وخلفائه وحكام المسلمين[127]، وتأتي هذه المدينة في الدرجة الثانية بعد تبكت.

دول بلاد السودان الغربي والأوسط الكبرى " الأمبراطوريات ": قامت في السودات الغربي والأوسط العديد من الدول والإمارات اختلفت في السعة والتنظيم يمكن ذكر بعضها فيما يأتي:

❁**برنو:** منطقة برنو تقع في الشمال الشرقي لنيجريا اليوم، وشرق كانو وهي ولاية عاصمتها اليوم " ما يدوغوري " تسكنها قبائل الكانوري، وهم من قبائل البرنو التي شكلت دولة البرنو،

❁**غانا** أو **غانة :** تشمل موريتانيا الحالية والسنغال وجزءا من مالي وغينيا وذلك كانت في أوجها، وقبل ذلك بدأ تأسيسها في منحنى نهر النيجر الأعلى، ومنابع نهر السنغال في القرن 3 م واستمرت قائمة حتى القرن 7هـ/13 م، حيث امتد سلطانها بفضل استعمال الحديد كسلاح،

---

[127]- السعدي، **تاريخ السودان**، 12، الوزان، وصف **إفريقيا**،162/2، حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، 217.

وأطلق اسم ملوكها على الدولة الذين كانوا أعدل الملوك، وعاصمتها " كمبي صالح" ذات المباني الجميلة كقصر الملك القريب من مسجدها الجامع والأسواق العامرة، وموظفو الدلة جلهم من المسلمين، وقد قدر سكانها بحوالي 30 ألف نسمة.

كما ازدهر اقتصادها الذي قام على أساس التجارة مستغلة في ذلك موقعها الاستراتيجي بين مناجم الذهب في بامبوك ويوري بالجنوب والتي سيطرت عليها الدولة، ومناجم الملح في الشمال، وتوسعت التجارة ونظمت الضرائب[128].

مالي: أمبراطورية مالي شكلها شعب الماندينغو على أرض مالي والسنغال الشرقي والشمالي، وغينيا، وشمال كل من فولتا العليا، والداهومي، والجنوب الأقصى من موريتانيا، وهو أقصى امتداد لهان وقدرها المؤرخون العرب بنحو مسيرة أربعة أشهر من الغرب إلى الشرق، ومسيرة ثلاثة أشهر من الشمال إلى الى الجنوب.

لقد كان شعب الماندينغو في الأول يدين بالولاء لمملكة غانا، وعندما انهارت بسبب هجمات السوشو الوثنيين تصدى لهم شعب الماندينغو وانتصر عليهم بقيادة زعيمه " سونديانا كيت " حوالي عام 632 هـ/ 1235

---

[128]- زبايدية، **مملكة سنغاي**، 16 – 20.

م، ويعد هذا التاريخ بداية نشوء أمبراطورية مالي، وقد مرت هذه الأمبراطورية في حياتها بثلاثة مراحل هي:

1- دور التأسيس: توسعت مالي في غانا وباتجاه الشرق، واتخذ أمراؤها لقب " منسا " أي السلطان، وبنوا مدينة " قارة " كعاصمة للدولة، وشجعوا الزراعة، ونظموا الجباية على الواردات والصادرات.

2- دور الازدهار والقوة: استمر هذا الدور طيلة القرن 8هـ/ 14 م، فعم الأمن، وازدهر الاقتصاد لعاملين أساسيين: انتظام المؤسسات الإدارية اعتمادا على رؤساء القبائل، واجتهاد الحكام في توفير الأمن مما سمح للتجار من التجوال بحرية وأمان، كما اهتموا بالبحر فبنوا أسطولا بحريا ونهريا بلغ تعداده 300 سفينة الشيء الذي مكنها من ربط علاقات ديبلوماسية واسعة مع بلاد المغرب الإسلامي ومصر واتصلت بالبرتغال، وبالإمارات الإيطالية عن طريق بلاد المغرب.

3- دور الضعف: دخلت أمبراطورية مالي دور الضعف في بداية القرن 9 هـ/ 15 م، وعانت من الاضطرابات نتيجة التنافس على العرش، وفي القرن 10 هـ/ 16 م، تمزقت الأمبراطورية وعادت مملكة صغيرة، ويحدد بعض المؤرخين أسباب هذا الضعف في خمس نقاط هي: أولا استيلاء الطوارق على تبكت وجيني المدينتان التجاريتان، وثانيا خروج بعض

المناجم الهامة من يدها، وثالثا التنازع على العرش، ورابعا هجوم قبائل الموسي الوثنية من الجنوب، وقبائل الألوف من الغرب، وقبائل سنغاي من الشرق، والطوارق من الشرق، وخامسا تفشي سوء الأخلاق وانغماس الحكام في الملذات[129]، وفي القرن 10 هـ/ 16 م تمكنت سنغاي من بسط نفوذها على مالي وتنهي وجودها[130] .

سنغاي: تعود نشأة دولةسنغاي إلى القرن الأول الهجري/السابع الميلادي واستمرت تتطور حتى القرن 10 هـ/ 16 م، واتخذت " غاو أو قاو " عاصمة لها منذ القرن 5 هـ/ 11 م، بعد أن كانت قاعدتها " كوكيا "على نهر النيجر الأدنى، وفي البداية حكمتها عائلة ضياء الدين، ويظن أن أصلها من طرابلس/ ليبيا تزعمت قبائل لمطه وهوارة حتى 736هـ/ 1335 م، ثم انتقل الحكم منها إلى عائلة سني وهي فرع من عائلة ضياء على عهد علي كلن الذي فصلها عن مالي وحكم منها 18 أميرا منهم علي كلن وسليمان، وعلي بير، وباري دع، وعلى عهد علي بير بين 869 و897 هـ/1465 و1492 م دخلت سنغاي في طور الأمبراطورية حيث وسعت حدودها حتى بلغت في عهد الأسقياالحاج محمد الذي أنهى حكم

---

[129]- **رحلة ابن بطوطة**،682؛ شارل مونتيل ، **أمبراطورية مالي**، (إصدر، ميزو ناف، باريس، 1968)، 143 .

[130]- زبايدية، **مملكة سنغاي**، 24، 25.

آل سنغي سنة 1493 هـ/ 1493 م، ويبدأ من هنا عرش التكرور وانتظام الحكم[131].

❁دولة المرابطين ودورها في بلاد السودان الغربي والأوسط: ظهرت خلال القرن 5 هـ/ 11 م معتمدة على العصبية القبلية لصنهاجة، متخذة من المذهب المالكي السني الأشعري عقيدة لها، وسمت نفسها " دولة الرباط والإصلاح "، ثم أطلق عبد الله بن ياسين على عصبته اسم " المرابطين " تشجيعا وتحفيزا لهم[132] .

وتعود نشأة المرابطين إلى يحيى بن إبراهيم الكدالي (الجدالي)، الذي ذهب في رحلة إلى الحج ثم عرج على مراكز الثقافة الإسلامية في المشرق والتقى بالعلماء هناك منهم الماوردي والأشعري، ولما عاد مر على القيروان ثم اصطحب معه الفقيه عبد بن ياسين إلى بلاد الصحراء، وبعد التعرض لبعض الصعوبات تمكن تسعة . سبعة من جدالة، وإثنان من لمتونة من الوصول إلى جزيرة في نهر السنغال حيث أقام عبد الله بن ياسين رباطا، ويبدو أنهم اعتمدوا في دعوتهم لقيام

131- زبايدية، **مملكةسنغاي**، 25، 26.

132- ابن عذاري المراكشي، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، (ط، 3 ، بيروت: دار الثقافة، 1983)،12/4.= وجاءت هذه التسمية " المرابطين " بعد غزو إحدى القبائل البربرية التي كانت على غير دين الإسلام، التي فقد فيها المرابطون قرابة نصف جيشهم، فقام عبد الله يصبرهم من ويشجعهم حتى تم لهم النصر، كما سمى عبد الله بن ياسين أميرهم " أمبر الحق ".

الدولة على تحالف الدين والسياسة بمواجهة التفكك المذهبي في المنطقتين المغربية والسودانية[133]، وكذا القوة العسكرية، والعصبية القبلية لصنهاجة وفروعها، والمال، حيث كان لابد من تفعيل هذا التحالف بداية بالسيطرة على الطرق التجارية التي كانت عصب الاقتصاد في المنطقة.

ويبدو أن عبد الله بن ياسين تعمد إقامة الرباط في جزيرة بنهر السنغال بالقرب من مملكة غانا، وغير بعيد عن مضارب الملثمين، وهي بيئة جهادية، وعمل على تحكيم الشريعة الإسلامية، واهتم بالفقهاء والعلماء، وقد تواردت إليه جماعات التائبين حتى اجتمع إليه ألف منهم، فأهلهم وأعدهم للمراحل القادمة[134]، وتحول الرباط إلى منارة في تلك الصحاري، وعمل على توفير الأمن مما شجع القوافل التجارية على المرور بها، فأدى ذلك إلى ازدهار التجارة، وأرسل الدعاة إلى القبائل، ودعوتهم إلى العمل بما أنزل الله.

ولما اكتمل الاستعداد تحرك يحي بن إبراهيم الكدالي نحو كدالة لقتالها وإعلان الجهاد عليها لأنها لم تستجب للدعوة، ثم توجه نحو لمتونة،

133- كان ينتشر في بلاد المغرب الإسلامي والسودان الغربي والأوسط باعتبار أجزائه المسلمة تابعة لبلاد المغرب الإسلامي المذاهب السنية لاسيما المالكي والحنفي والظاهري، بالإضافة إلى الشيعة والإباضية و غيرها من الفرق. انظر كتابنا، **دور المذهب الحنفي في الاجتماعيو الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي**، الفصل الأول ، ص، 13 وما بعدها.

134- ابن خلدون، **العبر**، 374/6.

ومسوفة واستطاع أن يحقق النصر عليهم فدخلت هذه القبائل في طاعة المرابطين[135]، وبايعتهم بقية القبائل لاسيما وأن سياسة الحفاظ كيان القبيلة وسلطتها مع تعيين شيوخا لتعليمهم القرآن قد أتت بثمارها العاجلة.

توفي القائد يحيى بن إبراهيم الكدالي – وهو في الحقيقة المخطط الأول لكل هذه المراحل، وما ابن ياسين إلا منفذا لسياسته أو خطته– في إحدى المعارك وخلفه يحيى بن عمر اللمتوني فصرف القيادة من كدالة إلى لمتونة وهي حنكة سياسية حكيمة لأن لمتونة تشكل الأغلبية، وهو قرار " ديمقراطي" بمفهوم عصرنا، وقرار تربوي يفسر مقاومة العصبية، وجذب الأغلبية، لاسيما وأن الحركة المرابطية بعد هذا أصبح لها قيادة منظمة تضم: قيادة دينية (عبد الله بن ياسين =الفقهاء)، وقيادة سياسية عسكرية (يحيى بن عمر)، ومجلس شوري مكون من أهل الحل والعقد.

بعد هذه الترتيبات **التنظيمية** وتنظيم البيت من الداخل انطلق المرابطون في نشر دعوتهم الدينية العقدية، ونشر الإسلام وتعاليمه بين الوثنيين وتعميقه وتصحيحه بين المسلمين، وتوسيع كيانهم السياسي،

135- **نفسه، 6 /**375.

فاستولوا على المركز الاقتصادي الهام في دولة غانا مدينة " أودغست " التي كانت تسيطر عليها قبيلة صنهاجة تحت حكم غانا، ثم وصلوا حتى منحنى نهر النيجر سنة 447 هـ/ 1056 م شرقا، وتوسعوا جنوبا في بلاد غانا حتى وصلوا بلاد التكرور الذين تحالفوا معهم وفتحوا الكثير من بلاد السودان الغربي، فذاع صيتهم في أرجاء السوان والصحراء، وبسبب أيضا محاربتهم للفساد والنهب، ونشر تعاليم الإسلام السمحة على مذهب الإمام مالك فتضاعف عددهم، وتقوت بيت مالهم بالزكانة والأعشار، وبذلك تحقق لهم تحالف المال والسياسة والقوة لنشر الدعوة مدة 14 عاما بداية من سنة 454 هـ/ 1062م، وأفلحوا في حمل أمبراطورية غانا على الدخول في الإسلام، كذلك بقية قبائل لمتونة وهم فرع من صنهاجة، ووسعوا حركة التجارة بتوفير الأمن، وبالتالي بعث الحركة الاقتصادية وهم في بداية تأسيس الدولة.

ثم توجهوا نحو الشمال بداية ببلاد السوس سنة 447 هـ/ 1055 م، حيث ظهر القائد يوسف بن تاشفين الذي تمكن من القضاء على زناتة ودخل فاس من دون قتال سنة 455 هـ/ 1067 م، واتجه بعدها شرقا سنة 463 هـ/ 1071م وأخضع منطقة ملوية، ثم المغرب الأوسط فافتتح وجدة وتلمسان ووهران ووصل حتى مدينة الجزائر فبنى بها الجامع الكبير[136]،

136- الجامع الكبير بمدينة الجزائر

ودخل في صراع مع الفاطميين، وخلفائهم الصنهاجيين، والحماديين، ثم دعاه المعتمد بن العباد حاكم إشبيلية بالأندلس إلى النصرة فجاز المضيق برسم الجهاد، وفتح العديد من المناطق هناك[137].

[137]- مصادر ومراجع المرابطين عديدة يمكن ذكر منها: ابن عذاري، **البيان المغرب**، 7/4 وما بعدها، ابن خلدون، **العبر**، 373/6.

التأثير والتأثر: بلغت التأثيرات العربية الإسلامية المغربية والأندلسية أوجها في عهد منسا موسى وخاصة بعد أدائه فريضة الحج سنتي 723 و 724 هـ/ 1323 و1324 م، والتي تحدثت عنها المصادر العربية بشيء من الإفاضة لضخامة الموكب والأبهة والترف ، وكمية الذهب التي كانت مع منسا موسى، وقد صرفها في الحجاز ومصر خاصة على الفقراء حتى انخفضت قيمة الذهب في تلك الأعوام....وقد لونت بلاد السودان بألألوان المغربية الإسلامية في كافة مجالات الحياة، كما تأثرت منطقة المغرب والأندلس بالموارد الطبيعية السودانية وفي مقدمتها الذهب، والبشرية كالعبيد، وفيما يأتي بعض الأثر والتأثر:

●**الأثر السياسي والإداري:** إن تغلغل تعاليم الإسلام كانت قوية، لأن الدولة القبلية في منطقة السودان كانت بسيطة تقليدية غارقة في القدم، ومنذ أسلم العديد منها أخذت بتشريعات الإسلام ونظمه في المجالين السياسي والإداري، ففي المجال السياسي حاولوا تطبيق مبدأ أو نظام الشورى المعروف في الإسلام امتثالا لقوله تعالى:" وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ "[138]، لذلك كان ملوكهم خاصة في مملكة سنغاي يعقدون اجتماعات

---

[138]- **الشورة**، 38.

دورية في قصورهم لوجوه القبائل وكبار رجال الدولة يتشاورون في شؤون الناس قبل إصدار الملك أوامره التنفيذية، وأنشأ الأسكيا محمد الكبير مجلسا للشورى يضم الوزراء وحكام الأقاليم، كما اتخذ الأسكيا داوود مجلسا للشورى مكونا من كبار العلماء وحكام الأقاليم[139]، وعرفت دول المنطقة السودانية نظام البيعة، وتشبه الحكام بالخلفاء والأمراء العرب المسلمين في تصميم القصور وقاعات الاستقبال التي كانوا يسمونها المشور، ومراسيم تنصيب الملوك الجدد منها ضرب الطبول، وشارات الملك كالقميص المزركش، وغطاء الرئيس الأبيض، والعمامة الخضراء والسيف والبردة، وكان الأسكيا محمد الكبير قلد بذلك الخليفة العباسي الذي أكرمه أثناء رحلته إلى الحج عام 902 هـ/1496 م[140]، وعلى غرار الحكام المسلمين جعلوا الوظائف الهامة تحت إشراف السلطان مباشرة كأمير القصر، وناظر الخزانة، وقائد الجيش، وناظر الزراعة، وجامع الضرائب، وناظر الغابات، ورئيس الشرطة، وناظر الأملاك، وناظر شؤون البيضان، والميناء والسفن، ورئيس السوق، وناظر المياه[141]،

---

[139]- كعت ، **تاريخ الفتاش**، 91 وما بعدها ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، 5/ 286، السعدي، **تاريخ السودان**، 139، مطير سعد غيث أحمد، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنيين العاشر والحادي عشر للهجرة/ السادس عشر والسابع عشر الميلادي**، (بيروت: دار المدار الإسلامي، 2005/1425)، 310.

[140]- كعت ، **تاريخ الفتاش**، 91 وما بعدها، مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 311.

[141]- كعت **تاريخ الفتاش**،205.

وديوان سيرة السلطان[142]، وكان أداء يمين الولاء للسلطان يتم في المسجد عقب الصلاة، وتوزيع الإحسان على الفقراء[143]، وأنشأوا الأساكي منهم سني علي أسطولا لتأمين الطريق البحري حماية للتجارة[144].

أما التأثر والتأثير في النظم الإدارية، فقد أخذت هذه النظم التي من البلاد الإسلامية خاصة بلاد الغرب الإسلامي، التي تميزت بالمركزية من ذلك تقسيم البلاد إلى أقاليم أو إلى ولايات، وعين عليها حكاما، وألغيت التقاليد القديمة في الاحتفاظ بأبناء حكام الأقاليم كرهائن وهذا في عهد الأسكيا محمد الكبير سلطان سنغي عام 899 هـ/1493 م، وطورت النظم فأنشئت مناصب جديدة مثل منصب مفتشية الضرائب، والمشرف على شؤون القبيلة[145].

أما ما يخص القضاء فقد أخذوا النظام القضائي العربي الإسلامي كلية، حيث عمل الحكام على إشاعة العدل، والأمن ملتزمين بالكتاب

---

[142]- وهو ما قام بإنجازه كعت في تاريخ الفتاش، والسعدي في تاريخ السودان حيث كتب كل منهما سيرة للسلطان.

[143]- مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 312.

[144]- كعت **تاريخ الفتاش**، 91 وما بعدها ، السعدي، **تاريخ السودان**،162 .

[145]- مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 329= وقد قسمت البلاد في عهد الأسقيا الكبير محمد إلى 10 ولايات تقريبا هي : كورما، وبالاما، وتندي، وبانجو، وهاريباندا، قندام، وفر، وتنبكت، وأجاس، وجني. انظر، نفس المرجع، ص، 331.

والسنة وأحكام الشريعة الإسلامية، فتم اختيار القضاة ممن يتوفر فيهم العلم، والنزاهة والتدين، وهي صفات نقلها العلماء والدعاة والتجار إلى المنطقة فتحلوا بها بعد أن تمثلوها، وكان القاضي في بلاد السودان يسمونه بلغتهم " أنفارفم "[146]. وكان للقاضي مكانة سامية ومتميزة عندهم، وحظوا باحترام العامة والخاصة والحكام، ومن أمثلة ذلك أن الأسكيا محمد الكبير استقبل بنفسه القاضي محمود بن عمر عند عودته من رحلة الحج عام 915 هـ/1508 م، وجعل مكانا خاصا في مجلسه[147].

● **الأثر الاقتصادي:** إن الحركة التجارية، والقوافل المتتابعة التي كانت تسير إلى بلاد السودان الغربي والأوسط كان أثر كبير وصدى عميق في المنطقة، ودليل على التغيرات التي طرأت عليها، والتطورات الناجمة عنها، وبدا ذلك الأثر أولا في المراكز الحضارية والتجمعات البشرية، فضلا عن توثيق العلاقات المختلفة خاصة الاقتصادية بالحكومات وبالسكان في تلك المناطق التي كانوا قد ارتادها التجار والعلماء والدعاة، الذين وجدوا أينما حلوا وارتحلوا ترحيبا لما تحلوا به من صدق، وأمانة في تعاملهم وفي سلوكهم، وقد أدى هذا إلى ظهور مفاهيم اقتصادية

146- كعت، **تاريخ الفتاش**، 35. مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 335.

147- السعدي، **تاريخ السودان**، 76، مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 340.

جديدة لم تعرف في المنطقة كالمعاملات التجارية، والعملات، والمقاييس والمكاييل والموازيين، والزراعة والثروة الحيوانية والصناعات والحرف.

ومن أبرز هذه المجالات التي تأثر بها السودانيون المعاملات التجارية حيث وفدت جالية تجارية من غدامس، والقيروان، وتوات، ووارجلان، وتلمسان ومن فاس، وسجلماسة واستقر بعضها هاك، واحتلوا مكانة اجتماعية هامة في المجتمع السوداني منهم الحاج سالم المصراتي، وصاروا من أشهر أشراف هذه المراكز منها تنبكت[148]، وكانت لهم أحياء أو حومات تعرف بهم كحومة الغدامسة[149].

ومن أبرز الأثار نظام العملات الذي لم يكن معروفا إلا مع بداية انتشار الإسلام في المنطقة حيث عرفت عندئيذ العملة الذهبية مبكرا، وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أشار البكري إلى استعمال الدينار الذهبي في تادمكة وتسمى " الصلع" لأنها من الذهب الخالص غير المختوم[150]، ويبدو أنه كان على وزن المثقال، وهو ما أشار إليه ابن بطوطة بالإضافة إلى التعامل بعملات بلاد المغرب

---

[148]- السعدي، **تاريخ السودان**، 59 ، 21، حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام** ....146، 179. الوزان ،**وصف إفريقيا**، 163/2 ، 164، 165؛ مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 350 = ويبدو من خلال المصادر أن العملة الغالبة هي الذهب غير المسبوك.

[149]- السعدي، **تاريخ السودان**، 142، مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 351.

[150]- البكري، **المسالك** ، 370/2.

ومصر[151]، كما تعاملوا بالفضة والنحاس إذ لم يكن التعامل بالنحاس منتشرا مثل الذهب والفضة، كما تعاملوا بالودع[152] في العصور المتأخرة.

أما عن المقاييس والمكاييل والموازين التي لم يكن أهل السودان يعرفونها فقد جاءتهم مع تجار المسلمين وخاصة الغرب الإسلامي، وقد وردت في مؤلفات علمائهم أمثال محمود كعت وعبد الرحمن السعدي وأحمد بابا التنبكتي ومنها[153]: المقاييس كالشبر، والذراع، والميل، والفرسخ، والمكاييل كالمد، والصاع، والقنطار، والمودي، أما الأوزان فمنها الدينار، والمثقال، والدرهم، والوقية، وقد أضحت اللغة العربية هي لغة التعامل في السودان الغربي والأوسط، ومازالت أثارها حتى يومنا هذا، بل مازالت تفرض فسها رغم الحرب الضروس التي شنها المستعمر مستخدما كل الوسائل حتى تمكن من جعل لغته لغة رسمية للعديد من

151- **رحلة ابن بطوطة، 697**؛ مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 353.

152- هو عبارة عن خرز أو أصداف بيضاء تعيش في بحار البلاد الحارة بداخلها بعض القواقع. انظر، **المعجم الوسيط**، 1078.

153- مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 356 ؛ نقلا عن زبادية الحضارة العربية والتأثير الأوربي، 53.

هذه الدول أو الكيانات التي اصطنعها، وبقيت الشعوب خارج هذه الدائرة النخبوية المرتبطة ثقافة المستعمر مسلمة عربية متمسكة بأصالتها[154].

شجع اعتناق الإسلام على العمل الزراعي والاعتناء بتربية الحيوان، حيث كان أهل السودان يعيشون على الصيد والقطاف أو الجني، ولتحريم الإسلام أكل الخنازير اتجهوا نحو تربية المواشي كالأغنام والجمال والماعز والخيول وغيرها، وساعد ذلك على الإقلاع عن عادة أكل لحم البشر، كما أن توفر الأمان والاستقرار شجعهم على ممارسة هذه الحرفة بشكل واسع، إلى جانب توفر الإمكانيات الطبيعية من مناخ وماء وتربة خصبة خاصة على ضفاف الأنهار وأحواضها ودلتاتها، حيث استغلوا مياه الأمطار الغزيرة، والأنهار في شرب حيواناتهم وسقي زراعتهم، وجر المياه في القنوات المحفورة على غرار ما كان في العالم العربي والإسلامي خاصة في العراق ومصر، وبلاد المغرب والأندلس[155].

154- عندما تشاد سنة 2004 م كنت أن أصل إلى العاصمة أنجمينا العاصمة أتساؤل عن اللغة التي تسود، وكان ظني يذهب إلى الفرنسية كما تحاول الدعاية الإعلامية ترسيخها في العقول، فوجدت العكس تماما شعبا متمسكا بأصالته الإفريقية الإسلامية العربية يتكلم العربية بطلاقة في المدن والقرى وحتى في البوادي والأرياف، حتى أنهم طالبوا الجامعة العربية بضمهم إليها؟

155- السعدي، **تاريخ السودان**، 70،مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 356

ومن أهم المزروعات التي أدخلوها أو توسعوا في زراعتها: القطن، والقمح الذي كان يستورد من الشمال كطعام للملوك والخاصة، والكروم، والتين، ومن العوامل التي ساعدت على تطور الزراعة البذور الجيدة، والخبرة الحسنة الوافدة من الشمال، وتعلم مزارعو السودان تقنيات الزراعة، واستفادوا من خبرة المزارعين الوافدين – من الغرب الإسلامي لاسيما من المغرب الأوسط (الجزائر)، ومن توات بالذات ومن الأندلس – في طرق الري، وتسميد التربة، كما أدخلت المحاريث التي استخدمت على نطاق واسع[156]، ووصف كعت نتائج أثر الوافدين قائلا:" دخل الناس في الحرث واشتغلوا به وأكثر الله الغيث، وأنبت الزرع ورخص الطعام من كل جانب واطفأ الله نيران الفتن"[157].

وكما سبق ذكره فقد اهتم أهل السودان بتربية الحيوانات ولا يزال هذا الاهتمام باقيا حتى اليوم فاعتنوا بالجمل واستعملوه للنقل والركوب، واستفادوا من لبنه ولحمه وجلده، كما اهتموا بالخيول خاصة العربية والبربرية التي وردت إليهم خاصة أن خيولهم كانت صغيرة الحجم تسمى " بوني " ، فتلاقحت وانجبت جيلا جديدا له القدرة على التكيف مع

156- مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 362.
157- **تاريخ الفتاش**، 181؛ مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 360.

ظروف المنطقة، فلا يتأثر بلفح الهواء ولا بلدغ الحشرات، ومن مناطق تربيتها شرق تمبكت، كما اهتموا بتربية الأغنام والماعز والأبقار[158].

كما شهدت الصناعات والحرف قفزة نوعية، وكان لتعميم مفاهيم العقيدة الإسلامية الدور الهام في تطور وازدهار الصناعة بمختلف أنواعها، كما أن نهي الإسلام عن العري قام بدور فعال في الاهتمام بصناعة المنسوجات، والملابس لاسيما من توفر المواد الخام كالقطن والصوف والوبر، وقامت وحدات عائلية لنسج وحياكة الملابس، ورغم ذلك فإنها لم تكن تكفي حيث كانت تستورد من بلاد المغرب والأندلس، وقد نشطت هذه الصناعة إلى جانب صناعات حرفية أخرى كدبغ الجلود، وصنع النعال، والآلات الموسيقية، والأصباغ التي جاء بها المغاربة في البداية، كما تأثرت المنطقة ببعض الحرف كالحلي، والآلات الحديدية، وصناعة الصابون، ومهنة الخياطة[159]، وتذكر المصادر أن هذه الصناعات والحرف كانت منظمة فلها نقابة يعرف رئيسها باسم " الألفا " وهو التنظيم الذي عرف في البلاد الإسلامية ومنها الغرب الإسلامي[160] .

158- الوزان، **وصف إفريقيا**، 2/ 174، 178؛ كعت، **تاريخ الفتاش**، 102، مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 363

159- مطير، **نفسه**.

160- كعت .**تاريخ الفتاش**،.180. مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 367.

ونخلص في هذا الميدان الاقتصادي إلى القول بأن تأثير بلاد الغرب الإسلامي كان واضحا شمل المجالات الاقتصادية، وستزداد وضوحا عند التعرض إلى الجوانب الاجتماعية والثقافية.

●**الأثر الاجتماعي:** إن الحياة الاجتماعية وما تتضمنه من عادات وتقاليد أكثر رسوخا من أي جوانب أخرى، وتغيرها أو تطويرها يتطلب بديل أقوى وألين وطول نفسذلك أن التغيير الاجتماعي محكوم بقوى داخلية وخارجية التي تؤثر فيه إيجابا وسلبا[161]، ولازالت حتى اليوم تشاهد وتلمس بعض المظاهر السلبية التي لم يتغلل التغير فيها وقد لاحظت بعضها عندما زرت المنطقة في بداية القرن 15 هـ/ 21 م، كما كان لا حظها ابن بطوطة في القرن في القرن 8 هـ/14 م، ومن بعده الوزان في القرن 10 هـ/ 16 م .

العادات والتقاليد: فعلا لقد وقعت الكثير من التغيرات الهامة في العادات والتقاليد منذ دخول الإسلام في منطقة السودان الغربي والأوسط، وقد قام الجيل الناتج من التمازج البشري لا سيما عن طريق الزواج، ومن تمازج التقاليد الإسلامية والمحلية، فظهر نتاج جديد أسس لعادات وتقاليد جديدة لا سيما في مجالي الزواج وبناء الأسرة .

161- مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 367.

ومن العادات الاجتماعية ضرب الطبول والتي لم يتخلص منها أهل السودان حتى اليوم حتى بعد اعتناقهم الإسلام

إذ أن السودانيين مولعين بالموسيقى، والغناء، والرقص، ونقل الوزان صورة عن ذلك من تنبكت فقال:" وقد فطر أهل تنبكتو على المرح، وتعودوا على التجوال في المدينة بين الساعة العاشرة ليلا والواحدة صباحا وهم يعزفون على آلات الطرب ويرقصون"[162] حيث أدخلوها في حلقات الأذكار لا سيما مع دخول الطرق الصوفية وأبرزها القادرية، كما لم يتخلصوا من الرقص والغناء والطرب عموما[163]، فكيفوه، وهنا تظهر خصوصية الإسلام في تعامله مع التقاليد الاجتماعية الراسخة، فحارب فقط ما يتنافى مع عقيدته وتشريعاته، وانتهاك حرمات تعاليمه، وترك البقية تتكيف بمرور الزمن، وهو العامل الحاسم في جعله يتغلغل في المجتمعات حتى اليوم.

الزواج ونظام الأسرة: القارئ للتاريخ الاجتماعي لبلاد السودان الغربي والأوسط قبل انتشار الاسلام فيهأن الزواجكمكون أساسي للأسرة كامن تسوده الفوضى فلا تحديد لتعدد الزوجات، بل المرأة الواحدة كان يتمتع بها أكثر من العشرة رجال يتناكحون بغير صداق[164]، وكان الزواج

---

[162]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 167/2.
[163]- مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 375.
[164]- **رحلة ابن بطوطة**، 678 ، الوزان، **وصف إفريقيا**، 159/2، 160، كرب

محصورا في العشيرة الواحدة حفاظا على تماسكها، والأسرة أموسية أي السيطرة للأم[165]، وتبعا لذلك تكون الوراثة من ناحية الأم، وقد علق القلقشندي على هذا الوضع فقال:" على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت"[166]، وعند اعتناقهم الإسلام تخلوا عن هذه العادات والتقاليد البالية تدريجيا، فعدلوا نظام الزواج، وبناء الأسرة وأقاموهما وفق تعاليم الشريعة الإسلامية، واستعاروا الأسماء العربية لأبنائهم وبناتهم، واصبح الابن ينسب إلى أبيه، ويورث حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية، لكن لا يعني هذا التزاما كليا بهذه التعاليم مكانيا وزمانيا، كما زالت الفوارق اللونية والطبقية بين أهالي السودان أولا، وبينهم والوافدين من البيضان ثانيا، وعلق توماس أرنولد على المجتمع الجديد الذي تكون في ظل الإسلام فقال:" إن المسلمين في تلك البلاد لا يعرفون التعصب في أي صورة من صوره، ولا يضمرون للمسيحية أي نوع من العداء"[167].

ومما تقدم يمكن القول أن الإسلام وأهله من رجال الغرب الإسلامي فقهاء، ودعاة ومعلمين، وتجار وغيرهم نجحوا كل النجاح في تغيير

خال، **إفريقيا**، 196/3.

165- مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 369.

166- القلقشندي، **صبح الأعشى**، 267/5؛مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 369.

167- توماس أرنولد، نقلا عن : مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 369.

المجتمع إلى الأفضل انطلاقا من الفرد فالأسرة وصولا إلى المجتمع والدولة.

اللباس: أكبر تغير حدث في بلاد السودان الغربي والأوسط كان في اللباس، حيث كان من عادة سكان هذه البلاد العري، وهذا لأسباب مناخية واقتصادية قد تكون ترسخت فيهم بمرور الزمن فتحولت إلى عادة وربما عقيدة، وتحفل كتب الرحالة والجغرافيين وكتب التاريخ بأخبار هذا العري من بيهم رحلة ابن بطوطة، فكان الناس يسيرون عرايا رجالا ونساء، وبعضهم يستر عورته بقطعة جلد أو ريش طائر أو أوراق أشجار، وبتأثير من الوافدين المسلمين أخذوا يقلدون هؤلاء في لباسهم، وصاروا يغتسلون ويغسلون ثيابهم ويتأنقون خاصة بعد اعتناقهم الإسلام، ولم يكتفوا بما كان يفد إليهم من بلاد الغرب الإسلامي بل أخذوا يتعلمون كيفية نسج وخياطة ملابسهم من معلميهم في الشمال الذين وفدوا على السودان الغربي والأوسط، واستقروا بحواضره خاصة بعد أن توفرت المادة الأولية من قطن وصوف ووبر، والخبرة الوافدة، ومن خلال تطور الزراعة وتربية الحيوان، ويقول عن لباسهم – وتطور زراعة مادته الأساسية ونسجه وخياطته – العمري:" ولباسهم عمايم بحنك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب قطن يورع عندهم وينسج في نهاية الرفع واللطف يسمى الكميصا (ربما القميص) ومنهم شبيه

بزي المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج، ويلبس أبطالهم الفرسان أساور من الذهب"[168]، وفي عهد الوزان الذي زار المنطقة كان الوضع قد اختلف عما كان قبله في مجال اللباس وتحسن تحسنا واضحا حيث وصف أهله بأنهم يرتدون لباسا حسنا، ويتلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق يغطون به حتى رؤوسهم، لكن الأئمة والفقهاء يتلثمون بلثام أبيض[169]، كما شاعت الملابس الحريرية، والبرانس التي أرتداها فقهاء جني، كما ارتداء النساء اللثام وغطين به رؤوسهن، وكانت نساء تنبكت متحجبات، وقد ألزم الأسكيا محمد الكبير نساء مملكته بارتداء الحجاب[170].

الطعام: الطعام مقوم لحياة الكائنات كلها ومنها الإنسان، وإعداد الطعام فن من الفنون، وقد انتقل أهل المنطقة – من الاعتماد على ما تجود به الطبيعية مع إدخال أنواع جديدة من الزراعات ومن تربية الحيوانات – إلى فن طبخها، وإلى ظهور أطعمة جديدة انتقلت إليهم من بلاد المغرب كطعام الكسكس بوجود القمح استيرادا وإنتاجا. **المسكن:**

---

[168]- العمري شهاب الدين بن فضل الله ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (القاهرة: الهيئةالمصرية العامة للكتاب، 2012)، 1/ 203، القلقشندي، **صبح الأعشى**، 5/ 399، مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 371.

[169]- الوزان، **وصف إفريقيا**،163/2.

[170]- كربخال، **إفريقيا**، 198/3 ،مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 373.

المسكن مرتبط بفن العمارة الذي سنتحدث عنه لاحقا، وقد تطور بمرور الزمن وبفعل المؤثرات الوافدة من بلاد المغرب والأندلس، ومن العلوم أن المنزل في بلاد السودان كان يبنى من أغصان الأشجار، وجلود الحيوانات على هيئة خيمة، ثم تطور فبني من الطين، وبالحجر، والجير، وسقف بالتبن، وهذا الأخير هو أول التطور المتأثر بالوافد، وقد لوحظ أولا في قصور الحكام والأثرياء، وأبرز المؤثرات فيه هي الأقواس والزخرفة، مثلها مثل النقش على النمط العربي[171].

الأفراح والأعياد: يبدو أن أهل السودان الغربي والأوسط مثلهم مثل كل الشعوب لديهم أفراح وأتراح، وما يهم هنا الأفراح والتي يبدو أنها تأصلت فيهم لعدة عوامل منها الطبيعية كالمناخ، ووقت الفراغ، والاكتفاء بالضروري في الغالب من ضروريات العيش فملأوا فراغهم بالغناء والرقص وضرب الطبول كما سبق ذكره، وقاوموا بذلك قساوة الطبيعة والعزلة التي كانوا يعيشونها، وقد تأثروا بتعاليم الإسلام لاسيما فيما الشعائر، فتخلوا رويدا رويدا عن بعض طقوسهم الوثنية، واستبدلوها بالإسلامية، وكيفوا بعضها الأخر والذي مازالت أثاره قائمة حتى اليوم لا في المنطقة فقط بل انتقل تأثيره حتى الشمال، وما المواسم التي

---

[171]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 165/2،مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 374.

تشهدها مدن الجنوب الجزائري مثلا، وقيام الاحتفال بها إلا دليل على ذلك كتراث يجلب السواج، ويحقق دخلا إضافيا لخزينة الدولة.

وقد أصبح سكان السودان يحتفلون بالأعياد الإسلامية، وبتأثير من بلاد الغرب الإسلامي ولاسيما الطرق الصوفية كعيدي الفطر والأضحى، فعلى سبيل المثال تعد مراقبة هلال دخول رمضان وهلال شوال طقس من الطقوس المهمة حيث يستقبل بالطلقات النارية، والصيحات والزغاريد، وحمل الأطفال للفوانيس، وبالتكبير والتهليل، وأداء صلاة العيد في الساحات العامة، والتصافح والتغافر بين الأفراد والأسر وزيارة الأقارب وصلة الرحم، وتطلق المدافع في عيد الأضحى وهو ما يوجد طرفا منه في بلاد المغرب حتى اليوم[172].

كما يحتفلون بمناسبات أخرى لاسيما المولد النبوي الشريف، وقد تحدث بعض ممن عاشوا في المنطقة عن كيفية احتفالهم بهذه المناسبة التي أنها دخلت إليهم متأخرة لتأخر الاحتفال لدى المسلمين والاختلاف في ذلك[173]، وتفيد المصادر أن الشيخ أبا القاسم التواتي الذي كان من كبار العلماء الذين سكنوا تنبكت وعمل إماما في جامعها الكبير حتى

---

[172]- **رحلة ابن بطوطة**، 687، مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 379.

[173]- انظر كتابنا : **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف** في العالم الإسلامي والجزائر، دراسة وصفية تحليلية نقدية، (عين السمارة- قسنطينة/الجزائر: مطبعة دار الفجر، 2016/1438).

وفاته سنة 935هـ/ 1528 م كان يتولى إطعام المداحين لشدة محبته للنبي ﷺ[174]، وتتحدث الرواية الشفوية في المنطقة عن أن أول من بدأ بالاحتفال هو " أبو القاسم التواتي" في تنبكت حيث كانت تقرأ البردة، والهمزية للبوصيري، ودلائل الخيرات للجزولي[175].

●**التأثير الثقافي:** إن الحركة التجارية الواسعة، وانتشار الإسلام أدى إلى انتقال الثقافة العربية الإسلامية في مجالاتها المختلفة يستعرض بعضها فيما يأتي:

1- **اللغة العربية:** اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وترجمانه، فحيثما حل الإسلام بمنطقة حلت معه اللغة العربية التي اكتست بفضل القرآن قداسة حتى يومنا وإلى يوم الناس، وقد ارتبط انتشار اللغة العربية في السودان الغربي بانتشار الإسلام واكتسبت احتراما كبيرا من طرف مسلمي تلك المنطقة، كما ارتبطت بالحركة التجارية، وادعاء العديد من الحكام والقبائل أنهم ينتسبون إلى أصول عربية شريفة[176] كما هو معروف في كثير من البلاد الإسلامية منها المغربية، وساعدت على

---

[174]- السعدي، **تاريخ السودان**، 59.

[175]- السعدي، **تاريخ السودان**، 42.43.56.58،مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 367.

[176]- السعدي، **تاريخ السودان**، 4، القلقشندي **صبح الأعشى**، 286/5، الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياي والاقتصادي**، 90، مسعود عمر محمد علي، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية**، 120.

انتشارها بعض القبائل والأسر العربية المسلمة التي هاجرت إلى المنطقة واستقرت بها، وفتوى أغلب الأئمة بعدم جواز قراءة القرآن بغير العربية، وبعدم ترجمته إلى لغة أخرى، وكان لكل من يريد معرفة أحكام الإسلام لابد له من إتقان العربية، حيث للعربية قواعد تضبطها، وتسهل التعامل بها، وهي واسعة يعبر بها عن الكثير من الأمور.

وقد قام المعلمون والأئمة والدعاة ورجال التصوف بدور كبير في نشر اللغة العربية عن طريق التعليم والوعظ والإرشاد والفتوى، والمراسلة وكتابة العقود لاسيما التجارية، كما أن خطوطها المتنوعة وما تتحلى به من تشكيل لوحات فنية زخرفية كالخط الكوفي والخطوط الهندسة لاسيما زخرفة الآيات القرآنية، وأكثر ما كتب به أهل السودان الغربي والأوسط الخط العربي المغربي[177]، ووصف القلقشندي كتابتهم فقال:" وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة"[178]، ولاريب أنهم في البداية كانوا يتعاملون مع الإسلام وتعالمية بواسطة المترجمين، فكان الإمام يخطب بالعربية والمترجم يحمل رمحا ويترجم للناس بلهجتهم كلام الخطيب[179]، وكتبت شواهد القبور باللغة العربية، وهكذا تمكنت اللغة العربية من التوغل في كافة مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية

177- القلقشندي،**صبح الأعشى**، 287/5.
178- **صبح الأعشى**، 287/5.
179-ابن بطوطة، **الرحلة**، 686.

والفكرية، وهو ما أعطاها ديمومة البقاء في المناطق التي حلت بها والتي اعتنقت الإسلام.

2- التعليم: حظي التعليم بعناية كبيرة في السودان الغربي والأوسط منذ بداية انتشار الإسلام في المنطقة، ولا اعتقد أنه كان في هذه المنطقة قبل ذلك أي نوع من نظم التعليم، ولما كان التعليم يتيح لصاحبة احتلال مكانة اجتماعية مرموقة بعد تحصيله، فقد تمتع العلماء بتقدير واحترام كبيرين لدى العامة والخاصة، وخاصة الحكام، وقد توافد طلبة العلم على تحصيله في المدن والقرى السودانية، ثم بلاد البلاد المغاربية.

وتحصيل العلم كان يتم عبر مراحل أولها الكتاتيب على طريقة معظم البلاد المغربية، وفي هذه المرحلة كان الطفل يتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ويجتهد السيد (المعلم) في تلقين الصي الصلوات الخمس، وكان الأولياء لهم حرص شديد على تعليم أبنائهم في السودان الغربي[180].

ولم تكن أماكن التعليم محددة بل قد تكون مسجدا أو كتابا مبنيا، أو متجرا، أو ساحة مسجد أو تحت ظل شجرة، وهذا حسب المنطقة وإمكانياتها، ويوجد فرق بين التجمعات الكبرى أي المدن والصغرى القرى

---

[180] -**نفسه**، 690.

والمداشر، أما عن الوسائل المستعملة في التدريس فهي تقليدية نفس التي عرفت في البلاد الإسلامية والمغربية على الخصوص من ذلك اللوح، والدواة، وقلم القصب، والصلصال للمحي، والأصباغ، إلى جانب المصاحف، وبعض الكتب المقررة خاصة في المرحلة الثانية (المتوسطة)، وكان المعلمون يتلقون أجورهم من الأولياء عن طريق الأطفال الذين كانوا يحملون إلى السيد أو ألفا (المعلم) خمس ودعات أو ما يسمونه " حق الأربعاء "، وأورد كعت أن معلما تحصل في يوم واحد على 725 ودعة (عملة نقدية)[181]، بالإضافة إلى تكريم الطفل ومعلمه عندما يختم جزءا من القرآن الكريم ويقام لذلك حفل بهيج بالموسيقى والزغاريد.

أما في مرحلة التعليم العالي أوالمرحلة المتقدمة، فكانت تتم في الجوامع بواسطة الحلقات التي يحضرها الطلاب الذين الذين يجلسون

---

[181]- **تاريخ الفتاش**، 180، مسعود عمر محمد علي، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي**،127= وهو نفس ما كان جاريا به العمل مع المعلم في بلاد المغرب حتى عهد قريب حيث يسمى هذا الحق في القرى والبوادي خاصة بحصة الطالب (معلم الصبيان في الكتاب) بقسمة يوم السوق، والمعروف أن الفلاحين في الأرياف يتسوقون في الأسبوع مرة واحدة يبيعون ويشترون في سوق أسبوعي يقام في يوم معلوم، ومازالت هذه الأسواق تقام إلى اليوم؛ فكل ولي يُحَمِّل ابنه مما جلبه من السوق لمنزله من الخضر والفواكه والحلويات وغيرها إلى الطالب (المعلم) في اليوم الموالي، وهو ما يسمى في النظام التعليمي الجزائري اليوم بالمردودية التي تشجع المعلم وتحفزه على المزيد من الجهد، وتوطد العلاقة بينه والأسرة الشيء الذي ينعكس إيجابا على التلميذ، بالإضافة إلى ما يتلقاه المعلم من أجر متفق عليه، ومما يقدم له كلما تقدم التلميذ في تحصيله درجة، وفي المناسبات والأعياد أي أن المعلم يتكفل به كلية من قبل الأسرة والمجتمع والدولة ليتفرغ لمهمته النبيلة.

في الإمام أمام الشيخ أو الأستاذ مباشرة، ثم عامة الناس في الخلف، ويتصدر الشيخ أو الأستاذ الحلقة فيجلس على كرسي عال، وبالقرب منه يجلس أنجب الطلبة الذي يقوم بسرد النص المقرر دراسته، ويسمى المسرد، في حين يقوم الشيخ بالشرح والتعليق، وفي غياب الشيخ يكون السرد لغاية الحفظ أو تلاوة السيرة النبوية الشريفة من بعض الكتب كالشفاء للقاضي عياض[182].

وكان من سمات المعلم والشيخ أو الأستاذ الناجح التواضع، والابتعاد عن التكرار الممل، ووضوح الصوت، والمواظبة على الدروس، ومن مواد التدريس في هذه المرحلة علوم التفسير، والحديث، والفقه المالكي، والتاريخ والسيرة، وعلوم العربية والمنطق إلى غير ذلك[183].

وقد وجدت أنواع أخرى من التعليم كالتعليم المهني والحرفي لاسيما في المدن الكبرى كتنبكت وجني حيث كانت العديد من الحوانيت تخصص وقتا لتعليم الشباب مختلف الحرف كالحدادة، والسباكة، والنجارة والخياطة على غرار ما كان جاريا في حواضر بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، إضافة إلى البعثات الخارجية إلى بلاد المغرب

182- السعدي، **تاريخ السودان**، 29. الهادي الدالي، **التاريخ الحضاري**، 166، مسعود عمر محمد علي، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي**،129

183- كعت، **تاريخ الفتاش**، 22، 54 ؛السعدي، **تاريخ السودان**، 29؛ مسعود عمر محمد علي، **تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي**،130

كالقيروان، وتلمسان، وتيهرت، وتوات، وفاس، وحتى بلاد الأندلس، ومصر، حيث أسهم هؤلاء الطلبة عند عودتهم بعد التحصيل العلمي في دعم العلاقات بين الشمال والجنوب، ونقل تجارب وطرق الدراسة والعمل وبعض العادات والتقاليد.

3-الأدب والشعر: أغلب الأدب الإفريقي عموماأدب شفهي فقد جمع الكاتب " يان " قائمة من 4000 عنوان من القرن10هـ/16 م إلى غاية 1387هـ/ 1967 م في رقعة جغرافية تضم 700 لغة ولهجة منها 41 فقط لها أبجدية والباقي شفهي حسب هذا المقال[184]، وبالإضافة إلى الأدب المحلي والعربي وجد أدب يعد دخيلا على تقاليد المنطقة رافق الاستعمار الأوربي الحديث، وركز في النخبة بلغات تلك الدول المستعمرة محاولا فصل المجتمع الإفريقي عن تراثه وماضيه عكس ما قامت به الحضارة العربية الإسلامية في المنطقة بعد انتشار الإسلام فيها، وهو ما حدث لتركيا التي عانت مشكلة الانفصال عن تراثها العثماني الإسلامي الكبير، وتشهد اليوم محاولات ترميم هذه الهوة بالعودة رويدا رويدا إلى أصالتها الحقيقية، وقد عبر الشاعر الرئيس ليبودسينغور السنغالي عن هذا الوضع اللغوي الغازي قائلا:" إن الفرنسية هي التي اخترتني ولم

---

[184]- مقتبس من مقال :**الأدب الإفريقي** – أدب جنوب الصحراء نشر يوم 2009/7/15 في الموقع: www.diazairss.com.

اخترها أنا "، كما كان الأديب الجزائري مالك حداد يردد وهو يكتب بالفرنسية أنه غريب فيها[185].

وإذا كان الأدب والشعر هو أحد مظاهر الثقافة العربية والسودانية، وحيويتهما تتبع أساسا من حيوية اللغة العربية، فالشعر العربي في بلاد السودان الغربي والأوسط من أغزر العطاءات الأدبية والشعرية حتى أطلق مثلا على موريتانيا اسم " بلد المليون شاعر" كناية عن الكثرة والتنوع، فقد كتب الأدباء، وتناول الشعراء كافة الأغراض الشعرية المعروفة في الشعر العربي كالمدح، والفخري، والرثاء، والغزل، والوصف، وفي الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية، ولكن شعراء السودان الغربي والأوسط برعوا في الشعر الديني ذو الطابع الصوفي، وخاصة المدح، كمدح النبيﷺ، وبمثل ما تناول هذا الأدب والشعر هذه الأغراض عد كذلك جهاز إعلامي.

ولمكانة الشعر والشعراء في السودان الغربي والأوسط – سواء كانوا من أهل السودان أو الوافدين عليه – جعل أهله هؤلاء في مرتبة العلماء والفقهاء ورجال التصوف باحترامهم وتقديرهم في حياتهم وبعد مماتهم، فبنوا قبورهم وجعلوها مزارا، وقد أورد ابن بطوطة في هذا الشأن خبرا

---

[185]- انظر الموقع: www.diazairss.com .

عن قبر الشاعر المفلق أبي إسحاق الغرناطي الأندلسي المعروف ببلده بالطُّويجن الذي يبدو أنه يزار في تبكت إذا لم يكن يتبرك به[186].

3- الفن: الموسيقى والغناء والرقص: عرفت مجتمعات إفريقيا بميلها الشديد إلى الموسيقى والغناء والرقص وكل الفنون الشعبية حتى بلغوا فيها درجة متميزة، وقد بينا آنفا بعض عوامل ذلك، والحقيقة أن هذه صدرت إلى الشمال وتأثر سكان بلاد المغرب وأثروا هم بدورهم، ويمكن القول إنه تراث مشترك للمنطقتين السودانية والمغربية تكون على مر العصور، وقد وصف أهل السودان الوزان فقال:" وقد فطر آل تنبكت على المرح، وتعودوا على التجول في المدينة بين الساعة العاشرة ليلا والواحدة صباحا، وهم يعزفون على الآت الطرب ويرقصون"[187]، ومن آلات الطرب الطبول، والمزامير، والدفوف، والقنين جلها كانت في عهد دولة سنغي[188].

كما تخصص أفراد في الغنا والموسيقى تخصصت بعض القبائل في ذلك كقبيلة المابي في تنبكت وجاو، وكانت تتكسب منها، وبالإضافة إلى المغنيين كان الشعراء الذين ينظمون القصائد ويكسبون من ورائها

186- **رحلة بن بطوطة**، 694.
187- الوزان، **وصف إفريقيا**، 167/2.
188- السعدي، **تاريخ السودان**، 87.

أموالا طائلة[189]، وبتأثير بلاد المغرب أضيفت إلى آلاتهم آلات جديدة منها الآلات الوترية، والمزمار، وبعض الأوزان والسلاليم الموسيقية، والصنجات النحاسية والخشبية، والرباب، والغيطة (الزرنة)، وشجع الحكام الموسيقيين والمغنيين حيث كانوا يأتون إلى المشور كل يوم ويغنون، ويعزفون، ويرقصون[190]؛ وبتأثير الإسلام اختفت بعض المظاهر السلبية كالصخب، والرقص الفاضح.

4- العمران والعمارة: للعمران البشري علاقة وطيدة بالعمارة فحيثما تكون التجمعات السكانية تكثر العمارة، وتصحب العمارة الفنون الهندسية والزخرفية، والبناء السوداني الأصيل مستدير مغطى بالخوص (القش) في شكل هرمي تكيفا مع طبيعة المناخ لاسيما الحرارة الشديدة، والأمطار الغزيرة، وجدران تلك المباني من الطوب ونادرا ما تبنى بالحجارة أو تخلط بها، أما المباني بالحجارة فهي لقصور الملوك والحكام والخاصة، والعمارة المتطورة جاءت من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس لاسيما الجزائر عن طريق التأثير الإباضي والتواتي أولا[191]، كما وفد المهندسون على المنطقة من الغرب الإسلامي والعالم الإسلامي من

189- الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي**، 41.

190- مجهول، **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، مخطوط، المكتبة الوطنية، باريس، ونشر هوداس، 1966؛ مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 39، 40.

191- السعدي، **تاريخ السودان**، 21.

ذلك الذين اصطحبهم منسا موسى خلال عودته من رحلة الحج من بينهم إبراهيم الساحلي الغرناطي الذي أدخل فن البناء إلى السودان الغربي وزخرفته على الطراز المغربي الأندلسي[192]، ووصف العمري هذا التطور فقال:" وهو يبني تقدير نصف ذراع بالطين ثم يترك حتى تجف ثم يبني مثله هكذا يتباهى سقوفها قباب وجلمونات كالأقباء، وأرضها تراب مرمل "[193]، وقد أثر الفن المغربي والأندلسي في فن زخرفة المساجد لا سيما في المدن الكبرى كتنبكت وجني ومازالت حتى اليوم تلك التأثيرات، والتي زينت بالنقوش، والخطوط العربية لا سيما الخط الكوفي، وزخرفت الآيات القرانية، كما تأثرت المآذن بعمارة مآذن الإباضية أو الرستميين في الجزائر، ويمكن للمتأمل ملاحظة ذلك بكل سهولة اليوم في عمارة المساجد بدول المنطقة، كما أن التأثير الشمالي في فن تخطيط المدن كجني وجاو، وفي الأزقة الضيقة وسطوح المنازل العالية، والأبواب الواسعة والضخمة هي نفس هندسة العمارة المغاربية في شمال إفريقيا[194]، وكذلك في المتاجر والحوانيت التي بنيت حول المسجد التي كانت تبيع المسابح والعطور والكتب فتحول المسجد ومحيطه إلى إشعاع حضاري قام بدور كبير لاسيما في التنظيم

---

192 - مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، 384.

193- العمري، **مسالك الأبصار**، 201/1

194- مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، ، 385.

العمراني، وهندسة العمارة، وامتد هذا التأثير إلى المنازل[195]، ويستنتج مما تقدم أم الإسلام ورجاله لم يسعوا إلى تهديم معالم الجهود المحلية وطمسها واستبدالها، بل عملوا على تطويرها وتحسينها تمشيا مع تقاليد سكان المنطقة وثقافتهم المحلية، وهو ما جعل فعاليات تعاليمه قوية وعميقة أحدثت التغير المطلوب وتجذرت في المنطقة وطبعتها بطابع خاص ومتميز مازال قائما حتى اليوم.

[195]- **نفسه**، 386، 387.

الملحق رقم: 01

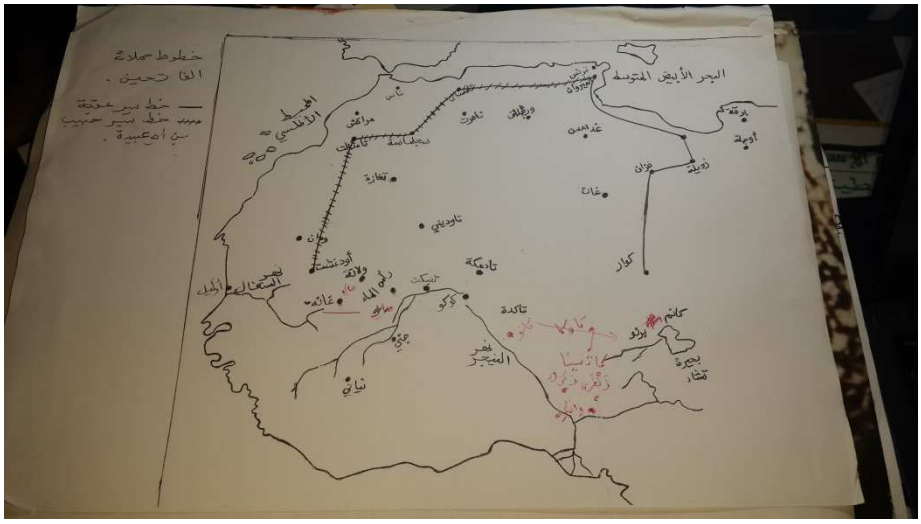

من إنجاز المؤلف (مقتبسينقص المقياس)

الملحق رقم ، 02

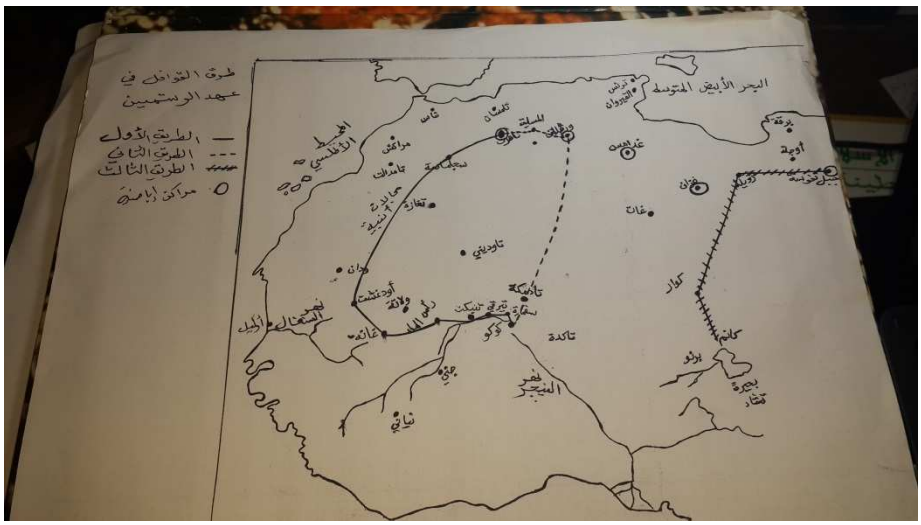

من إنجاز المؤلف (مقتبس ينقص المقياس)